ثروت أباظة

أمواج ولا شاطئ

الناشر : مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي "الفجالة"
سعيد جوده السحار وشركاه

– ١ –

حجـــة وقــف

انه بموجب هذا قد أوقف سعادتلو أفندم حضرة صاحب السعادة عزت باشا ابراهيم جميع أملاكه على أولاده ، بحيث يصبح ناظر الوقف بعده عزتلو أفندم حضرة صاحب العزة جمال بك ابراهيم بصفته الابن الأكبر وتصــبح له الحقوق العشرة ، وينتقل الحق فى نظارة الوقف الى أبنائه الأرشـــد فالأرشد ، فاذا لا قدر الله لم ينجب بنين تنتقل نظارة الوقف الى الأرشد من أبناء اخوته الأرشد فالأرشد .

واذا امتنع المستحق فى النظــارة عن النظــارة لسبب أو لآخر ، تنتقل الى المستحق بالطريق سالف الذكر . ويشترط فيمن يكون ناظر الوقف أن يكون كامل الأهلية طيب السمعة حسن السير والسلوك . وقد وقع سعادتلو أفنــدم حضرة صاحب السعادة عزت باشا ابراهيم هذه الوقفية وهو فى كامل قواه العقلية وفى كامل صحته ، أسبغ الله عليه أثواب العافية ومتعه بالصحة والعافية ومد الله فى عمره .. آمين .

الواقف

عزت ابراهيم

— ٣ —

القصر جبل من ضياء ، والعربات تفد اليه ليخرج منها الماس الخاطف والملابس الثرية ، ما ان تمضى عربة بخيولها حتى تأتى بعدها أخرى ، والحفل نشوة ، والأنفاس عطر ، والأجساد نور ، والضحك موسيقى ، والدنيا غناء •

نامق بك ابراهيم يترجل من العربة رفيع السمات واثق الحركة ، لا يفكر فى الديون التى يرزح تحتها ما دام واثقا أن عمه ناظر الوقف سيعطيه آخر العام ما يقيم مثل هذه الحفلات حتى يصبح من الطبيعى أن يدعى الى هذه الحفلات •• انه لا يفكر ••• فما دامت قدماه قد أصبحتا داخل الحفل فلا تفكير اذن الا فى الحفل •

النظرات تستقبله وما تلبث الأيدى أن تعجل اليه ، فكل من فى الحفل يجب أن يكون على أحسن صلة به : وهو يجيب التحية فى كبرياء غير متكلف ، فقد تعلم الكبرياء منذ تعلم كيف يسير وكيف يأكل وكيف يعامل الناس ••• نوع من الكبرياء لا يغضب وانما يثير الاكبار ، ولا يجرح وانما يجعل

الناس يحبون أن يكونوا على معرفة به .

وحين يفرغ نامق بك من التحايا ينفض الحفل جميعه بعينيه العميقتين وقد ازداد التماعهما تألقا .

انه يبحث ... وما هى الا ومضة وأخرى حتى تعرف قدماه الى أين يجب أن يتجه .

نازك ... تمد اليه اليد وترنو اليه بهذه النظرة الواعدة والتى ينتظر منها دائما أن تفى بالوعد ... لا يغيب عن حفل هى ذاهبة اليه .. منذ شهور يلاحقها فى الحفلات وهى تحب منه هذه الملاحقة وترضى عنها ، وتعد بعينيها وعودا كثيرة تعرف أنها تصل الى حيث تريد لها أن تصل . فما لاحقها الا حين أحس أنها تدعوه بهذه النظرات الى هذه الملاحقة .

وتدور الكئوس وتنتشى الآمال ويفكر كل ذى وعد فى تحقيق موعده ، ونامق يرنو ويتلطف ... وهى ترنو وتعد ، ويدور الحديث ويلوب ولا يصل الى شىء ، ولكنه بنظراته اللماحة وعينيه ذواتى البريق ينفض الحفل ..

— سعادة البك الوالد ؟!

— لم يأت الليلة .

— والوالدة ؟

وتطلق ضحكة خائرة :

ـــ وهى أيضا لم تأت •

ـــ اذن ؟

ـــ جئت معى بصديقتى كريمة •

ويصمت قليلا ثم بقول بفرنسية متقنة :

ـــ ولكن ليس من المحتم أن ترجعى مع كريمة •

وتكسر عينها الواعدة وتجيب فى فرنسية خالصة :

ـــ سنرى •

ـــ ألم ترى بعد ؟

ـــ قلت سنرى •

ـــ مرت شهور ••

ـــ قلت سنرى •

لقد أصبح الوعد أخيرا ابن كلمة بعد أن ظل شهورا طويلة ابن نظرة • تتصايح الرغبات فى جوانحه وتعربد الآمال فى كل قطرة من دمائه • وتنصرف نازك الى صديقاتها تحادثهن كأنها لم تفسح لهذه الرغبات أن تتصايح ولا لهذه الآمال أن تعربد •

ولا يجد هو فى نفسه ميـــلا الى حديث وانما يظـــل ملصقا نظراته بوجهها ••• طويل هذا الوجه قوى عذب يتحدى ويأمر ويريد ويفعل ، عينان ما هما بالواسعتين ولكن السعة فيهما أصبحت عمقا ، ان تمكن انسان أن يطيل فيهما النظر تكشف له من ورائهما عوالم تفضى الى عوامل تفضى الى

لا نهاية .. لا نهاية للعمق فيهما . تحيط بهما رموش لا تنثنى الى أعلى وانما هى رموش مشهرة تتكلم فتقول ما تريد . وفم دقيق الشفاه ينفرج عن أسنان عليها وشاح من ضباب فضى خفيف . والفم جميعه يبدو كأنه على صلة ونبقة بالعقل ... حتى اذا ابتسم جمع العقل والقلب فى ابتسامته . وفى الذقن ذكاء وارادة ورغبة وتفكير وتأمل وتنفيذ . وحين تقف نازك يظل نامق ملصقا نظراته بقوامها الفارع النحيف كأنه كلمة حازمة .. كيان رائع نازك .. هى حرية فى حركاتها ، فى حديثها ، فى لفتة الجيد منها ؛ فى ايماءة الرأس ، فى الشعر العربيد على كتفيها ينساب كأنه أحلام عذرية حتى ليخال المرء أنه بلا نهاية .. فنهايته بداية ، بحر من أشعة الشمس حين تميل الى الغروب ، بحر متلاطم بلا شطآن ، بلا أول ولا آخر .

وتلتفت اليه فجأة وكأنها لم تكن تحس بنظـرته التى التصقت بها منذ بذلت له وعدها الأخير :

ـ ألا نذهب للعشاء ؟

وينتفض واقفا عن قامة تنحو الى القصر بعض الشىء ، وينحنى فى كبرياء ويقول :

ـ بكل تأكيد .

وفى الطريق الى المائدة بهمس :

ـــ ننصرف بعد العشاء مباشرة .

ـــ بل ننتظر حتى يهدأ الرقص .

ـــ أترقصين ؟

ـــ أتريد أن ترقص ؟

ـــ ليس هنا .

- ٣ -

لقد أردت ٠٠ لماذا ٠٠ لا أدرى ٠٠ هكذا أردت ٠٠ أن أعطى نفسى ٠٠ هذا الكنز الذى تتهدم الدنيا اذا أعطيته بلا زواج أعطيته أنا بلا زواج ؛ ولتتهدم الدنيا بعد ذلك ، وليفعل أبى هذا التركى ما شاء له هواه ٠٠ لماذا يبيح لنفسه هو أن يحب ويختار ويتزوج أمى الفرنسية ، ولا يكون ذلك لى أنا ؟ ٠٠ هل أحببت ؟ ٠٠ لقد أردت ٠٠ ولكن هل أحببت ؟ ٠٠ ما يهم ٠٠ نامق فتى تتسابق اليه نساء مصر جميعا ٠٠ مالى ولمصر ٠٠ أبى تركى وأمى فرنسية ٠٠ اذا تهدمت الدنيا هنا أستطيع دائما أن أذهب الى أهل أمى فى فرنسا ٠٠٠ باريس مدينة النور ٠٠ هل فيما فعلت نور ؟ ٠٠ لقد أردت ٠٠ وفعلت ٠٠ نامق ٠٠ لا يملك شيئا الا نصيبه من الوقف ؛ ولو شاء عمه لأصبح لا يملك شيئا ٠٠ ولكن هل أفكر فى الزواج به ؟ وهل هذا هو الطريق الى الزواج ان كنت أريده ؟ ٠٠ انما أردت أن أعطى نفسى وبلا سبب ٠٠٠ بلا حب ، بلا تفكير فى زواج ٠٠

أما لماذا اختارت نامق فهذا حديث آخر ٠٠ ليس نامق صغيرا انما هو يحث الخطى الى الأربعين ، وقد كان زوجا

من قبل وله ابنته نديرة من زوجته الهام الابنة الكبرى لفهمى باشا محسن المستحق فى الوقف ، وقد انتقل بوفاته الاستحقاق فى الوقف الى ابنته الهام . ولكن هذه القرابة وهذا الزواج لم يمنع نامق أن يوطد علاقته بالسيدة جيهان عثمان زوجة نصر الدين بك فتحى ... وكانت هده العلاقه بين نامق وجيهان تسمح له أن يكون معها فى غرفة نوم واحدة . بل وفى سرير واحد .. وقد كانت هذه الحجرة وهذا السرير فى أغلب الأحيان بمنزل سعادة نصر الدين بك فتحى .

وفى يوم سافر فيه نصر الدين بك وخلت القاهرة بنامق وجيهان ، وضمهما منزل نصر الدين أول الليل ثم ضمتهما غرفة النوم والسرير آخر الليل .. وعاد نصر الدين الى البيت دون أن يسافر ووجد مكانه فى السرير مشغولا ، وكان نصر الدين بك من الذين يحملون المسدس فى جيوبهم فهو يخرج مسدسه فى سرعة ويطلق النار على ذلك الرجل الذى شغل مكانه ، وتصيب الرصاصة كتف نامق ويزيط البيت ويستدعى الأطباء ، ونقل نامق بك الى منزله حتى لا يذهب الى المستشفى ، وتتواكب الأسئلة لتكشف من الأمر ما ينبغى له أن يستتر . وهكذا دبر الأمر ببراعة ليصبح ذائعا شائعا فى كل مكان .. فقد لعب التكتم دوره فى اذاعة الخبر ، أصبح نامق بين ليلة وصباحها رغبة نساء المجتمع جميعا .

ومنذ أن شفى نامق وهو لا يكاد يجد فرصة ليختار ،

فقد أصبحت السيدات هن اللواتى يخترن أنفسهن له • فليس من الغريب اذن أن تجد نازك نفسها راغبة فى هذه الصلة ، ولا بأس عليها أنها ليست سيدة ، وما الذى يمنع أن ينقلها هو من آنسة الى سيدة ؟ •• لقد نسبت ودوى نامق يهوم فى كل أفق تتجه اليه •• وألقت اليه هذه النظرات الواعدة ، وما زالت به حتى كان هذا اللقاء فى بيته ولا يدرى به أحد الا صديقتها كريمة • ان كريمة تعرف عنها كل شىء •

ـــ أهلا كريمة •

ـــ هيه •• ما الأخبار ؟

ـــ أبدا •• لا يوجد •

ـــ تذهبين اليه الليلة ؟

ـــ لا أدرى •

ـــ لا يا حبيبتى ، قولى لى حتى أعد نفسى •

ـــ هل عندك شىء الليلة ؟

ـــ الواحدة يجب أن تهتم بمستقبلها •

ـــ عندك الليلة مستقبل ؟

ـــ طبعا •

ـــ مثلى أنا ونامق ؟

ـــ ليس تماما •

ـــ لا أفهم •

ـــ أنت وصلت لآخر الشوط •

ـــ وأنت ؟

ـــ أنتظر الزواج ٠

ـــ وهل يهم الزواج الى هذا الحد ؟

ـــ يا حبيبتى أنت لا يهمك ٠ أما أنا فان لم أتزوج فلا حياة لى ٠

ـــ ومستقبلك وكيل النيابة ؟

ـــ شاب طيب ٠

ـــ تلتقيان بالشباك كما هى العادة ؟

ـــ يمر من تحت الشباك قبل المغرب وقد كوى طربوشه ولمع حذاءه ٠٠ ينظر فى حياء الى أعلى ، ان رآنى وقف ٠٠٠ ان ابتسمت حيا ، ان كشرت انصرف ٠

ـــ يا عينى !

ـــ ان قابلته رفض أن يتزوجنى ٠

ـــ فأنت اذن تنصبين الشباك ٠

ـــ ولابد أن تصيب ٠

ـــ هل سيأتى الليلة ؟

ـــ لقد بدأ يتكلم فى الخطوبة ٠

ـــ فموعدك هام ٠

ـــ اذا كنت لا تريدين أن أبقى ٠

ـــ المفروض ألا تكونى فى البيت حين يجىء ٠

ـــ لماذا ؟



يا حبيبتى أنت لا يهمك ، أما أنا فان لم أتزوج فلا حياة لى.

ـــ لتتظاهری أنك لا تعرفين •

ـــ أمس قال انه يريد أن يخطبنی •

ـــ هل احمر وجهه وهو يقول لك هذا ؟

ـــ انه أحمر ، وطربوشه أحمر ، ويضع وردة حمراء فی جاكتته • خجول بطبيعة لونه ••• مهما يخجل لا يستطيع أن يزيد لونه احمرارا •

ـــ المفروض أنك لم تريه رسميا •

ـــ كيف ؟

ـــ الشباك غير رسمی كما تعلمين •

ـــ ألم أقل لك انه صديق أخی ، وكان يجیء معه الی البيت ونلتقی ؟

ـــ آه صحيح ••• فما حكاية الشباك ؟

ـــ تعجبه •

ـــ قرأ عن سيرانو دی برجراك ؟

ـــ ولكنه ليس قبيحا •

ـــ هل عندك فستان يليق بالمناسبة ؟

ـــ أنت تعرفين كل فساتينی •

ـــ وأنت تعرفين كل فساتينی •

ـــ لا مقارنة •

ـــ انتقی ما تشائين •

ـــ حقا ؟ !

ـــ أنت لن تخطبى مرتين .
ـــ فأنت لا تريدينني الليلة ؟
ـــ ارجعى الى حين تنتهى الخطوبة ..

* ★ *

ـــ هيه هل نقول مبروك !
ـــ طبعا ... أنت تعرفين كريمة .
ـــ ماذا حصل .. احكى لى .
ـــ قرأ أبى الفاتحة .
ـــ ومتى الزواج ؟
ـــ حالا .
ـــ مستعجل ؟
ـــ سيجن .
ـــ يبدو أنه ليس وحده الذى سيجن ..
ـــ على فكرة هل عرفت أن محمد باشا الأزميرلى مريض ؟
ـــ عم نامق ؟
ـــ نعم .. ناظر الوقف .
ـــ بالنسبة لنامق الأمر لا يهم .. سيصبح حسن بك ناظرا على الوقف مكان أبيه ، ويظل يأخذ نصيبه منه .
ـــ لا أظن .
ـــ كيف ؟

ـ هناك اشاعة تقول ان حسن لا يريد أن يكون ناظر الوقف .

ـ حقا ... لماذا ؟

ـ انه يحب السفر ، والوقف سيمنعه من هوايته .

ـ فمن يكون ناظر الوقف ؟

ـ نامق بك طبعا .

ـ ماذا ؟

ألقتها نازك ... ثم ألقت عينيها العميقتين الى فراغ .. لحظة .. ثم لحظة ثم نظرت الى كريمة .

ـ ماذا قلت :

ـ طبعا .. هذه شروط الوقفية .. يتولاها الابن الأكبر من أولاد الأخ التالى ... يعنى نامق .

ـ من قال لك هذا ؟

ـ فتوح وكيل نبابة .. يحفظ هذه الأمور غيبا .

ـ اذن ؟ ..

ـ نامق سيكون ناظر الوقف .

ـ هل يستطيع فتوح أن يحضر لى صورة من الوقفية ؟

ـ ممكن .. فقط ماذا أقول له ؟

ـ اسمعى .. لا داعى لأن يحضر الوقفية جميعها ،

فقط اسأليه وأنتما تتحادثان ، ما هى الشروط التى يجب أن تتوافر فى ناظر الوقف ؟ •

★ ★ ★

ــ يقول انه يجب أن يكون بالغا رشيدا عاقلا حسن السير وأسلوك طيب السمعه •

ــ ماذا ؟

ــ طيب السمعة •

ــ ألا يجوز أن تذكر حكاية جيهان ؟

ــ حكاية جيهان نسيت •••

ــ من قال لك هذا ؟

ــ أنا سألت ••

ــ لماذا نسيت ؟

ــ لأنه ان لم يعين نامق فالمرشح لنظارة الوقف سليمان أخوه ، وهو كما تعلمين سفيه ومجنون ، والمنتفعون بالوقف لن يقبلوه •

ــ فحكاية جيهان اذن نسيت ؟

ــ يجب أن تنسى •

ــ ماذا يحدث لو ظهرت حكاية أخرى مثل حكاية جيهان ؟

ــ ماذا ؟ •• ماذا قلت ؟

ــ لا شىء •• لا شىء •• أتخرجين معى ؟

ــ الليلة ؟

ـــ الليلة •

ـــ لن تجدى نامق الليلة •• انه مشغول مع عمه •

ـــ لا يهم •• سيعود •

ـــ سيتأخر •

ـــ وما البأس أن أتأخر عندك وأنت مقدمة على زواج ؟

ـــ تذهبين عندى اذن وتبقـــين فـــترة ، ثم نذهب الى نامق •

ـــ لا ينقصك الذكاء •

ـــ تلميذتك •

مرت شهور عليها منذ أسلمت نفسها له ... لقد أسلمتها له لأنها ثائرة على أبيها وعلى التقاليد ، ولأنها تريد أن تهدم هذا الحائط الذى يفرضه أبوها عليها ... كانت هى نفسها تسخر من أبيها ومن هذه القيود الذى يظن أنه يستطيع أن يفرض بها العفاف عليها .. انها تستطيع حين تشاء أن تصنع ما تشاء ... وكانت تقع فى نقاش مع نفسها لا يبلغ مستوى الصراع ، وانما كانت تعتقد أنها فى اللحظة الأخيرة ستمتنع وتخشى الفضيحة ، ولكنها ما تلبث أن ترى الفضيحة نفسها شيئا غير مزعج ، فقد شهدت اللواتى أثرن الفضيحة لا ينتقم منهن المجتمع وانما يصبحن همسة بين الأفواه ثم لا شىء بعد ذلك ... فهن حيث يدخلن موضع احترام الناس ، وهن يتمتعن بجو أثيرى خاص يجعل منهن مادة نادرة لا تماثلها فيها الأخريات اللواتى لم تثر حولهن الهمسات ... وهى لا يضيرها أن تكون هذه الهمسة ، بل انها يسرها أن تكونها ... وهى تستمتع ... تستمتع باللقاء الخفى وبالأسرار لا تعرفها الا كريمة ... وهذه الخفقة المجنحة التى ترفرف فى كيانها

كله حين تستعيد ما كان •• وتستمتع بنفسها حين تعود من بيته لتكون مرة أخرى هذه الفتاة البريئة التى تخضع لما يفرضه عليها أبوها من رقابة ••• وتستمتع بهذا الوجيب وهى تنتظر اللقاء ، وتستمتع بما تعده لهذا اللقاء •• تعد ما ستقوله ثم تنساه ، وتستمتع بما تعد وتستمتع بما تنسى ؛ ولا تفكر فى الغد الا اذا كان الغد يحمل اللقاء ••• انها فى هذه الشهور تعيس حبا •• أو هى توهم نفسها أنها تعيش حبا •• لا يهم •• وما الفرق بين الحقيقة والوهم ما دام كلاهما يصل بها الى هذه النشوة التى تجتاحها ؟ •• ولكن المؤكد أنها تعيش نفسها كما تريد لنفسها أن تكون •• تلك هى الحياة التى تحب أن تحياها وهى تحياها •• أسطورة هى من أساطير الليل واللقاء المستخفى والآهة الحالمة والهمسة النشوى ••• كم من النساء مررن بالحياة فما خلدن كما خلدت • أولئك اللواتى أحبهن الملوك •، انها تريد أن تكون واحدة من أولئك ••• لا تحب أن تمر بها الحياة فلا تلقى اليها نظرة تعرف ولا ومضة ذكرى ، انها تريد أن تدمغ الحياة حولها باسمها ، فلابد أن تذكرها الحياة ••• أهذا هو الطريق ؟ •• انها لا تعرف طريقا غيره •• قد يعتبره أولئك الأصنام أصحاب الياقات المنشاة والطرابيش الحمر الصارخة الاحمرار نوعا من النزق ، ولكنهم جميعا مع كل آرائهم يتمنون منها نظرة اعجاب أو نظرة تعرف • هكذا كانوا يصنعون مع اللواتى آثرن

الهمسات قبلها .. وحين تثير الهمس لن تتغير معها القاعدة ..
انها لعبة الألفاظ السخيفة التى يقولونها .. يستجدون بألفاظهم رضاء الرأى العام ، وتستجيب مشاعرهم لرغباتهم الخاصة التى تمور فى نفوسهم وتعربد صاخبة بلا قيود من عرف أو مجتمع أو رأى . عاما هذا الرأى أو خاصا .

ولكن الأمر الآن يختلف ... انه سيصبح ناظر الوقف .. فهل ترى أستطيع ؟ . هل ترى أستطيع ؟ . وما مصير الهمس ؟! .. والسحر الأثيرى ؟ .. وأين يمكن أن يذهب هذا ؟ .. ان الهمس حينئذ سيكون أقوى أثرا .. اننى أستطيع أن أثير الهمس فى أية لحظة أريد .. فى أى وقت أشاء .. وتحت أى ظروف تبدو .. الغنى .. السلطة .. الحب .. والهمسة .. أكون فى التاريخ ذكرى .. أكون ملتقى النظر .. همسة العجوز الى نفسه ان خلا الى نفسه .. أمل الشباب فى أحلامه المجنحة .. هذه الفكرة التى تفرض نفسها دون أن يستدعيها الفكر .. هذه الكلمة التى تثب على آمال الرجال دون تفكير .. فى اللحظة التى يفكر فيها المرء يأمر تفكيره أن يتجه الى حيث يريد ، ثم تأتى لحظة على الفكر يتمرد على صاحبه ؛ ويفكر هو فى غير خضوع أكون هذا التمرد .. لهيب خيالهم .. أجنحة آمالهم ... له ... واحد من هذا الكون العريض .. واحد فقط .. الناس جميعا .. من أعرف ومن لا أعرف ..

آلا يجتمع الواحد فى الجميع •• انما الواحد من الجميع •• ومالى لا أجمع الواحد مع الجميع ، وما البأس ، •• فى وضع خاص •• فى مكان معين ؟ ولكنه بعد منهم •• معهم •• كريمة •• أولاد •• الوقف •

— ستصبح ناظر وقف •

— ولكنك أهم عندى •

— أريد أن أكون جادة بعض الوقت •

— الآن ؟

— طبعا •

— فى أول اللقاء •

— لن يكون هناك لقاء اذا لم نقل ما نريد •

— أهناك ما يقال ؟

— طبعا •

— قولى •

— ستصبح ناظر الوقف •

— ولكن هذا لن يمنع لقاءنا •

— المسألة ليست مسألة لقاء •

— اذن ؟

— لابد لناظر الوقف من زوجة •

— ماذا ؟

وصمت •• وصمتت •• وطال الصـــمت •• فى لحظة

خاطفة أدرك كل ما تريد أن تقوله •• وفى لحظة خاطفة أدركت أنه فهم ما تريد أن تقوله ، فكان الكلام بينهما عديم الجدوى •• ولكن ومضة خطرت فى ذهنه :

ـ ولكن ••

ـ نعم ؟

ـ لا •• لا شىء ••

ـ ماذا تريد أن تقول ؟

ـ فقط لم يكن من المقدر أن أكون ناظر الوقف •

ـ أتظن أنها خطة مدبرة !

ـ لا •• أبدا ، وانما فقط ••

ولم يكمل الجملة ولم تطلب هى اليه أن يكملها ، وعاد اليهما الصمت •• كيف دبرت ؟ •• أنا أعلم أنها لا تحبنى •• لم يجذبها الى الا ما جذب النساء الأخريات منذ حكاية جيهان •• هى أصغر •• ولم تكن سيدة حين عرفتها •• ولكنها هى التى أرادت •• اننى أعرف النساء حين يردن •• وأعرفهن حين يحببن •• لقد أرادت دون حب •• ان تكن ذكرت الحب فى اللقاءات فقد كان لابد له أن يذكر •• اننى أحس المكان الذى تصدر عنه كلمة الحب حين تقال •• أحسها •• ومن الصدى الذى يأتى مدها أعرفها •• لم يكن حبا •• لقد أرادت وقد أردت، وهذا كل ما هناك • فكيف يمكن أن تصبح زوجة بعد هذا ؟ •• زوجة لى أنا •• أنا الرجل ؟ •• ولا شأن للوقف هنا •• أنا

الرجل .. كيف أجعل من هذه المرأة .. أصبحت الآن مرأة .. كيف أجعل منها زوجتى .. تحمل اسمى وشرفى أمانة فى يدها ؟ .. انها لم تحافظ على اسمها ولا شرفها هى ، فكيف تحافظ على اسمى وشرفى ؟ .. لا .. لا .. لا قاطعة .. ودون أن يحس ارتفع صوته وانتفض :

ــ لا ..

وصمتت لحظة ثم قالت فى هدوء :

ــ والوقف ؟

وعاد الصمت ...

لم تصبح المشكلة مشكلة نظارة الوقف ، انما أصبحت المشكلة مشكلة الوقف جميعا .. لن يصبح ناظر وقف هذا لا شك فيه ، ولكن من المحتمل ان لم يكن من المؤكد أن أخاه سيخرجه من الوقف جميعا .. أليس ناظر الوقف وله حق الادخال والاخراج ؟ وسيجد أخوه الفرصة سانحة أعظم ما يكون السنوح .. أخ فاسد بلغ الأربعين من عمره ويقضى على شرف بنت لم تعد التاسعة عشرة من عمرها . انه لا يستحق أن يكون ضمن المنتفعين بالوقف .. خذل أجداده فى قبورهم ، وخذل أقرباءه فى حياتهم ، وأساء الى سمعة الأسرة جميعا .. الأسباب قوية .. الضياع بعد ذلك والفقر الموحش . ولكن زواجها .. ؟ زواجها هو الشرف المضاع .. سيصبح اسمى

أضحوكة فى فم الناس اجمعين •• كيف اذن أتصرف ؟ •• هل أقضى على شرفى لأحافظ على شرفى ؟ ••

ابتسم ••

وابتسمت ••

ولم يقطع الابتسام منهما الصمت بينهما ، ولكنها فى هذه المرة لم تسمح للصمت أن يطول :

ــ هيه ؟

قالتها طويلة عميقة تحمل التهديد ونفاد الصبر •

ــ أفكر •

ــ ألم تكن تفكر ؟

ــ الأمر يحتاج الى تفكير طويل •

ــ هل تعتقد ذلك ؟

ــ أنا لم أعدك بالزواج •

ــ وهل قلت انك وعدتنى ؟

ــ أفكر اذن •

ــ لا تجعل التفكير يطول •

ــ أليس لى حق التفكير ؟

ــ الوقت لا يسمح بالتفكير الطويل ••• لابد أن أعرف رأيك قبل أن تصبح ناظر الوقف •

ــ لماذا ؟

ـ سيكون الوقت متأخرا ، وعزل ناظر الوقف أصعب مائة مرة من العدول عن تعيينه •

ـ آه فهمت ••

ـ أنت فاهم من أول لحظة •

ـ هيه •

ـ متى أعرف رأيك ؟

ـ قبل أن تفكرى فى الكلام سأكون قد انتهيت الى رأى •

ـ ألم أقل لك انك فاهم من أول لحظة ؟

وصمت قليلا قبل أن يقول :

ـ نعم فاهم •

★ ★ ★

لن تفلت الفرصة •• لقد جاءتها من حيث لا تحتسب •• ولن تدعها تفلت منها •• والأمر فى ظاهره لا غبار عليه •• وأى عجب أن يتزوج نامق ابراهيم من نازك هانم شكرى ؟ •• كلمة هانم مهمة غاية الأهمية •• أسرتها لا بأس بها وأبوها رجل محترم •• ولا أحد يعرف عن نازك منسوء الا أنا •• وأنا الذى يجب أن يتزوجها •• أنا وحدى دون الناس الآخرين الذين لا يعرفون عليها من سوء •• لو سألنى أى شاب من الناس الآخرين لقلت له انها خير زوجة •• شخص واحد ينبغى

له ألا يتزوجها .. هذا الشخص هو أنا ، لأننى أنا الشخص الوحيد الذى يعرف عنها ما أعرف .

ولو كانت كريمة رجلا لأصبحنا اثنين ، ماذا أفعل ؟ .. لو أبيت .. لو قبلت ..

أيمكن ؟.. مستحيل .. ولماذا لا ؟.. لا يمكن .. مستحيل .. لو فعلت لما تغير الوضع .. ان اعلان الخطوبة سيربط اسمها بى ، وتستطيع حينئذ أن تجد الفرصة أوسع فى التشهير بى . ولكن هذه المرأة لا تخاف ؟ ألا تخشى .. كيف تقبل أن تتزوجنى بالتهديد .. انها داهية ؛ لقد قدرت أننى لو أسأت معاملتها فسيرمينى الناس بالوحشية ... انها ستصبح زوجتى لها علي حق الرعاية ، ولابد أيضا أن تكون دائما موضع الاجلال والإحترام ؛ فانها ستصبح حرم الباشا ناظر الوقف .. طبعا الباشا ، فكل من أصبح ناظرا على هذا الوقف نال الباشوية ، أيمكن أن تكون حرم الباشا مهانة ذليلة ؟.. انها داهية .. ولكن الزواج .. هذه الرابطة العجيبة التى لاتماثلها رابطة فى العالم ، كيف يمكن أن تقوم على تهديد ؟.. على غير رغبة من الطرفين ؟ .. كم من زيجات تمت فى مصر ولم يكن للزوجة رأى فيها .. فليكن الزواج فى هذه المرة والرجل مرغم .. ولكن الرجل هو الذى يملك الأمر .. يستطيع

أن يجعل حياة زوجته قاتمه مريره لا تحتمل •• هذا ممكن اذا لم تكن الزوجة حرم الباشا ناظر الوقف •

ولكن ناظر الوقف يظل مع هذا رجلا ••• وللرجل سلطان أي سلطان •• ماذا لو استعملت هذا السلطان •• وهى على كل حال لم تهب نفسها لغيرى •• ولكن ابنى •• أى ابن •• المفروض أن يكون لى منها أبناء •• هذا الابن سيصبح ناظر الوقف من بعدى •• كيف تكون أمه نازك ؟ •• ان لم أتزوجها فلن يكون هناك وقف على الاطلاق وان تزوجتها فلن تكون هناك رجولة على الاطلاق •• عجيبة هذه الحياة •• هل كنت أتصور أن أفكر أنا فى زواج فتاة أسلمتنى نفسها وكأنها تقدم لى كوب ماء ؟ •• لا يستطيع الرجل أن يحافظ على المبادىء فى حياته •• لماذا لا يستطيع ؟ •• أليس هو طمعى فى نظارة الوقف الذى يرغمنى على هذا الموقف ؟ •• اننى أنا الذى أختار بين أن أكون رجلا أو أكون ناظر الوقف •• هل أستطيع بعد ذلك أن أدعى أننى صاحب مبادىء ؟ •• المبادىء لا تتجزأ •• اما أن أحافظ عليها جميعا أو لا أحافظ عليها جميعا •• ولكن من سيدرى أننى لم أحافظ عليها •• كريمة •• كريمة •• لا تهم فهى لن تفتح فمها •• الوقف يضمن سكوتها •• ولكن هل المبادىء هى التى يراها الناس أم التى أراها أنا ؟ •• اننى أبحث عن نفسى أمام نفسى •• لقد سمحت لنفسك أن تقيم هذه الصلة بينك وبين نازك فعليك أن تتحمل المسئولية ••• وهل

أتحمل المسئولية لأنني أقمت معها هذه الصلة أم لأنها هى ترغمنى على الزواج ••• وترغمنى من أجل نظارة الوقف لا من أجل مسئوليتى •• أستطيع أن أقول لنفسى اننى •• وهل تقبل نفسى •• وهل أقبل أن •• أليس الأجدر بى أن أكون صادقا مع نفسى على الأقل •• وما البأس أن يكون السبب هو هذا الواقع ؟ •• ولكن •• الوقف •• أخى •• الوقف عظمة ورفعة ، ولكن الرجولة وشعورى بالكرامة واطمئنانى على بيتى •• هـذا هـو الاختيـار • عليك أن تختـار بـين الوقف بما فيه من جلال وعظمة وسلطان ، وبين اطمئنانك على بيتك ••• مجرد اطمئنانك على بيتك •• جيهان •• الهام •• نديرة •• الوقف •• خيل العربة ، لابد أن أشترى خيلا العربة •• هل أشرب من نفس الكأس الذى سقيته لالهام •• ونديرة ما ذنبها ؟ •• طلقت أمها •• انها هى التى رفضت أن تعيش معى بعد حكاية جيهان •• أترى ان لم تكن الهام متزوجة كانت تقبل أن تعود الى الآن وأنا ناظر وقف ؟ •• الهام كانت تحب نامق •• نامق الرجل ولن تغريها نظـارة الوقف •• لقد حطمت معبودها ولن تعود للمعبود المحطم حتى وان كان ناظر الوقف •• نظارة الوقف لا تستطيع أن تصلح ماتحطم •• وكم انسان فى الدنيا مثل الهام •• ونديرة •• قد يسرها أن أصبح ناظر الوقف ولكن هذا لن يزيد حبها

ى •• خيل العربة •• لابد أن أشتري للعربة خيلا •• نازك .. كم أكرهك .. أكرهك الى درجة أنى أحبك .. أحبك لماذا تجعلين من نفسك ارغاما لى ؟ •• لماذا ترمين بنفسك الى أتون محرق من الكراهية وأنت حبيبة •• حبيبة ؟ •• كيف سأحبك ؟ •• وكيف سأكرهك ؟ •• أى نوع من الحياة ستقوم بيننا ؟ •• وهل ستقوم بيننا حياة ؟

— ٥ —

بضع الطربوش مستقيما على رأسه كأنه الطريق الذى يجب أن يسيره فى الحياة ، أبيض الوجه ذلك البياض الذى ينم على تدخل العنصر التركى فى أصوله •• يميل الى القصر بعض الشىء ويميل الى السمنة بعض الشىء أيضا ، عيناه بسيطتان لا عمق فيهما وانما فيهما صراحة •• يعرف طريقه تماما لأنه طريق لا التواء فى ظاهره • دخل الى مدرسة الحقوق لأن طبقته كلها يجب أن تدخل الى مدرسة الحقوق •• سمع ناظر المعارف يقول لوالده : تصور أننى وجدت الموظفين عندى يقيدون اسم ابن أخيك فى كلية الطب فنهرتهم وأمرتهم بتحويل أوراقه الى كلية الحقوق بلا كلام فارغ • ولم يكن محتاجا الى هذا الحديث لتذهب أوراقه الى كلية الحقوق ، ولو كان قد ترك أوراقه لشأنها لاتجهت من تلقاء نفسها الى كلية الحقوق • وحين تخرج اتجهت أوراقه من تلقاء نفسها الى المحكمة المختلطة • طريق مرسوم وضحت معالمه منذ أعلنت الحاضنة أنه ولد ، ولم يكن أبوه مختار بك صبحى محتاجا أن يرسم هذا الطريق فالطريق مرسوم بطبيعة مولده ، وهو

يسير فيه لأنه لا يجد فى نفسه رغبه أن يسير فى طريق آخر . ولأنه يجده طريقا جميلا مفروشا بالتوقير والاحترام والمكانة اللائقة به وبمولده .

هذا كله عظيم ، ولكن يبقى أنا بعد ذلك ... جميل أن يحف بى التوقير والاحترام ، وأن يستقيم الطربوش ، ولكن أنا ... يسرى مختار ... أحب النساء وأحب الكأس وأحب أن يمرح شبابى ويهنأ بما يهنأ به شباب الناس ... أنا يسرى مختار لا أمانع مطلقا أن يستقيم طربوشى ما دمت أسير بهذا الطربوش فى الشارع ، ولكن هنا فى هذه الغرفة مع سميحة أحب أن أخلع الطربوش وأن أنسى المحكمة المختلطة و ...

ـ تأخرت البوسة .

ـ الليل طويل .

ـ ومع ذلك تأخرت البوسة .

ـ أكمل كأسك .

ـ أيمنع الكأس .

ـ بالعكس .

ـ لماذا المناقشة ؟

ـ ان لم نتكلم فماذا نفعل ؟

ـ ألا تعرفين ماذا نفعل ؟

ـ الليل طويل .

ـ أنقضيه فى الكلام ؟

ـ نقضى بعضه .

ـ خلى الكلام للمحكمة .

ـ أريد أن أتكلم .

ـ خلى الكلام للمحكمة .

ـ أليس لى الحق أن أريد ؟

ـ رجعنا للكلام .

ـ لابد أن أتكلم .

ـ أكره الكلام ... أكره الكلام .

ـ الكلام مهم .

ـ كلام فارغ .

ـ مهم .

ـ تولى .

ـ ماذا تنوى ؟

ـ آخذ بوسة .

ـ لا تهرب .

ـ سألت وجاوبت .

ـ لا أصدقك .

ـ آخذ بوسة .

ـ لا أصدقك .

ـ وكيف أجعلك تصدقين ؟

ـ لا أعرف .

ـ ألا يمكن أن تعطينى بوسة الى أن تعرفى ؟

ـ لا تريد أن تكلمنى جادا .

ـ أقسم لك أن البوسة أعظم من أى كلام يقوله البشر .

ـ ومصيرى ؟

ـ مرتبط بالبوسة .

ـ ألهذا تأتى الى ؟

ـ وهل هذا قليل ؟

ـ قد تزهد فى .

ـ لا تجعلينى أزهد .

ـ خائفة .

ـ أنا لم أكذب عليك أبدا .

ـ الوضع سيختلف .

ـ أنا لم أكذب عليك أبدا .»

★ ★ ★

حين كان نامق بك فى مكتبه كانت عيناه شاخصتين الى الجريدة لأنه لابد أن يقرأ الجريدة ، ولكن ... ماذا سأفعل .. سأراها اليوم .. ولابد اليوم أن أقول ...

مختار بك صبحى بالخارج يريد أن يلقى سعادتك .. نعم طلب منى موعدا .. ماذا يريد هو الآخر ؟ .. الديك الرومى



أقسم لك أن البوسة أعظم من أى كلام يقوله البشر

هو .. قل له يتفضل .

ـ أهلا سعادة البك .

ـ أهلا نامق بك .

ماذا يريد .. منتفخ كعادته .. مؤدب كعادته .. ذلك الأدب البغيض .. اكسلانس .. بغيض لماذا تريد أن تتزوج منى رغم أنفى ؟ .. الرجل يتكلم .. اسمع ما يقول .. طبعا لابد من مقدمات .. لابد من كلام فى السياسة فأمثالنا لابد أن يتكلموا فى السياسة اذا ما التقوا .. طبعا سيتكلم بعد ذلك فى البورصة .. بدأت البورصة .. ثم الزراعة .. لم ينته من البورصة .. حديثها طويل .. اكسلانس .. البورصة ما تزال .. ثم الزراعة .. وبعد .. وبعد الزراعة ؟

ـ اكسلانس جئت أخطب ابنتك بديرة لابنى يسرى .

وكاد نامق لولا الوقار أن يقفز من كرسيه .

ـ زواج .

ونظر اليه مختار بك دهشا ، وما أسرع ما تملك نامق بك نفسه .

ـ اكسلانس .

ـ لم أكن أتوقع هذا الحديث .

ـ لابد لكل حديث من بداية .

ـ طبعا مختار بك لا يمكن أن أمانع ، ولكن أنت تعرف الوضع .

ـ أنت الوالد ٠

ـ ولكن أمها هى التى ترعاها ٠

ـ أنت الوالد ٠

ـ من جهتى لا أمانع ٠

ـ فالأمر منته ٠

ـ وهو كذلك ٠

وهم مختار بك بالضحك ، ولكنه يسمع نامق يستدرك :

ـ انما قل لى يا مختار بك ٠٠ اننا لم نعرف رأى نديرة ٠

ووجم الضحك على وجه مختار وظل لحظات فاغرا فاه ، ثم ٠٠٠

ـ رأى من ؟ !

ـ نديرة ٠٠ ألم تقل انك تخطب نديرة ٠

ـ أنت تمزح لا شك يا نادق بك ٠٠ منذ متى تسأل البنات ؟

صحيح ٠٠ فما قولك يا مختار بك فى رجل لا يستطيع أن يقول رأيه فى نفسه ٠٠ أطبق عليه الزواج ولا يستطيع منه فكاكا ٠ صحيح ٠٠ صحيح ٠٠

ـ صحيح ٠٠ صحيح ٠

وضحك مختار أخيرا وهو يقول :

ـ لطيفة هذه النكتة ٠٠٠ لم يبق الا أن نسأل البنات ٠

وضحك نامق فى بله وحيرة :

ــ صحيح •• لم يبق الا أن نسأل البنات •

* * *

ــ تستطيع الآن أن تقول ماذا تنوى أن تفعل •

ــ ألم أقل ؟

ــ ولكنى غير مطمئن •

ــ ما الجديد ؟

ــ ألا تعرف ؟

ــ ولكن ما الجديد ؟

ــ لن تكون حرا •

ــ وهكذا ستصبح حاجتى اليك أشد •

ــ أترى ذلك ؟

ــ ألا تعرفين ذلك ؟

— ٦ —

اذن سيعود اليوم • مرت سنوات لم أسمع صوته . ولم أشعر بأنفاسه تتردد حولى ، ولم أنعم بهذا الدفء الذى أحسه فى جواره ولا أحسه فى جوار أحــد آخر من الناس • أى مشاعر عجيبة هذه ! كيف أحبه كل هذا الحب وأنا لا أراه ؟!

ــ أبى ، ألست ابن باشا ؟!

ــ وأى عجيبة فى هذا ؟

ــ العجيبة أنك دخلت الأزهر •

ــ لم يكن لنا خيار يا ابنى •• وكان لابــد أن أدخل الأزهر •

ــ الباشا والدك كان فقيرا ؟

ــ لم يكن غنيا على كل حال •

ــ سمعتك تقول ان التعليم فى الأزهر كان مجانا •

ــ ليس هذا هو السبب •

ــ هناك سبب آخر اذن ؟

ــ قل لى يا صالح ، ألا تجد فى أبيك شيئا غريبا ؟

ـ انك أبى •

ـ هذا لا يكفى •

ـ كان يمكن أن تدخل مدرسة مع ذلك •

ـ لست صغيرا يا صالح •• ، ان أصلح معهد لمن كان مثلى هو الأزهر الشريف •

ـ من أجل هذا اذن •

ولكن هذه العمامة على رأسى لم تكن تقيد حركته • أو أننى أرجو ألا أكون قيدا على حريته •• تركته يفعل ما يشاء •• وأحببته • سبحان الله كيف أحبه كل هذا الحب !! •• أحب صوته وأحن اليه •• ذلك الحنين الذى يرويه المحبون فى أشعارهم • وما لى أعجب ؟ ألم أكن أحب أبى وأمى ؟ • وزوجتى ألم أكن أحبها ؟ •• بعد أن تزوجنا •• لا بأس ولكنى أحببتها •• أحببت رعايتها لى وحدبها على ••• كل هذه الأنواع من الحب مبعثها أنا •• أحببت أبى وأمى وزوجتى لأنهم أحبونى •• لقد أحببت نفسى فى حبى لهم •• ولكن ابنى الذى أغدق عليه ما وسعنى الجهد ، وأنفق فى سبيل تعليمه ورغباته ما أطيق ، لماذا أحبه كل هذا الحب ؟ •• لعلنى أحب نفسى فيه ، ومن أدرانى أنه يحمل صورتى ؟ •• يقولون •• ألا يقولون لكل والد أن ابنه يشبهه •• ؟ أحقا حبه يحملنى الى الأجيال القادمة ؟ •• وما الأجيال القادمة وما قيمتها وأنا فى عالم

آخر لا ينفع فيه مال ولا بنون ؟ •• لعلنى أحب أن أعيش فى ابنى بعد أن أموت ، وهل نعمت بالعيش قبل أن أموت ؟ لعلنى أحب أن أعيش فيه مبصرا •• المفروض أننى سأكون مبصرا فى العالم الآخر •

ـ أطال الله عمرك يا بنى •

ـ قل ما تريد ••

ـ اتركنى أدع لك أولا •

ـ لأنك تريد شيئا ••

ـ لأنى أريد أن أدعو لك •

ـ لماذا ؟

ـ لأنى أبوك •

ـ لأنك كل شىء •

ـ لأنى أبوك •

ـ هناك كثير من الآباء لا يصنعون ما تصنع •

ـ أحببت أن تعيش حياتك كما أردت أن تعيشها •

ـ نعم •• مع أنك لم تقل أبداً ، الا أننى أحسست دائما أنك تريدنى أن أعيش الحياة التى أريدها •

ـ من أجل هذا قلت الدعاء •

ـ وأنا أعلم أنك لست وافر الغنى ، ومع ذلك ••

ـ اننى وافر الغنى بك •

ــ لعلنى أوسع نافذة تبتلع مالك ٠

ــ أحب أن أفعل ذلك ٠

ــ ترى يا أبى لو ٠٠٠

ــ قل ٠٠٠

ــ لو فكرت أن ٠٠٠

ــ لو فكرت أن ٠٠٠

ــ لقد أنهيت ليسانس الحقوق ومن حقك أن تتزوج اذا شئت ٠

ــ أتزوج ؟ !

ــ أليس هذا ما تريد ٠٠٠ ما هذا الصمت ؟ ٠٠٠ انك رجل ٠٠٠ قل ٠٠٠ أهو الزواج ما تريد ؟

ــ هل أنت يا أبى مستعد للزواج اذا كنت أريد أن أتزوج ؟

ــ طبعا ٠٠٠

ــ فان طلبت اليك مطلبا آخر ؟

ــ مثل ماذا ؟

ــ مثل السفر الى الخارج ٠

ما أسخف أن يعلن الانسان عن مبادئه ٠٠ أصبحت بين شقى الرحى يومذاك ٠٠٠ بين اعلانى أننى أريده أن يحيا حياته كما يشتهى وبين هلعى ولهفتى ان غاب عنى ٠٠ سنوات ٠٠٠ سنوات ٠٠٠ وأنا أشتاق اليه وهو فى غيبة النهار ٠٠ أو غيبة المساء ٠٠ لا ٠ وماذا تنفع لا وهى مهيضة الجناح

لا تستند على منطق ؟ .. العاطفة لا تسعف هنا .. أتقف عثرة فى مستقبلى لأنك ستشتاق الى ؟ .. ان أعظم تضحية أقدمها أن أخفى شوقى .. وأخفى قلقى .. ذلك القلق الآسر العربيد المخيف .. ابنى وحيد فى بلاد غريبة عنى وعن أمه وعن الأهل والأصدقاء . ليس ذنبه أنه وحيدى وأننى لا أريد أن أقلق عليه .. ليس ذنبه أن المخاوف تتخطف قلبى كلما تأخر عن موعده دقائق .. ليس هذا ذنبه .. وليس شىء من هذا جميعه يصلح حجة تقف به أن يسافر الى الخارج .

ويعود ويصفه من يحبنى من الناس . أنيق . فى مظهره شموخ وفى نظراته ابتسام وترفع وقدرة على اجتذاب حب الآخرين .. أتراهم يصدقوننى فى وصفه ؟ .. لعلهم يريدون أن يرضوا نوازع الحب فى نفسى ، ولكنهم يقولون صفات بعينها محددة لعلها لا تكون مكتملة ، ولكن لابد أنه يتصف بشىء منها على الأقل .

أما حديثه فانى أستطيع أن أحكم عليه ... انها هوايتى وخبرتى أن أحكم على الناس من أحاديثهم . وهل أملك الا أن أحكم على الناس من أحاديثهم ؟ ولكن هل أستطيع أن أحكم على صالح وهو ابنى ؟ وما يعنينى ان كان حكمى صادقا أو غير صادق ؟ انه رأيى أنا فى ابنى وأنا سعيد به ، وليكن للناس جميعا بعد ذلك رأى مختلف .. ماذا يعنينى أنا رأى الناس ؟

انه يستطيع بحديثه أن يأسر قلب محدثه ، ويستطيع أن يشعر من أمامه أن كلاهما مهم ، وأن حديث كليهما على جانب كبير من الأهمية . وهو يجيد ذلك فى براعة لا تكلف بها ولا تصنع ، او لم يكن رأيى هذا صحيحا لما استطاع أن يصل الى منصبه مفتش داخلية فى سنوات قليلة ، ولو لم يكن رأيى هذا صحيحا لما استطاع أن ...

ــ أبى .

ــ أفندم يا حضرة المفتش ؟

ــ المفتش يريد أن بفتش عن شىء آخر .

ــ خير ... يبدو أن آمالك لا تقف عند حد .

ــ أتريدها يا أبى أن تقف ؟

ــ أريدها أن تقف عند المدى الذى تستطيع تحقيقه .

ــ أنا لا أعرف هذا المدى .

ــ على مهلك اذن .

ــ ولكن لابد أن أحاول .

ــ محاولة جديدة ؟

ــ حين كنت بالخارج وجدتهم يعرفون عن مصر أكثر مما أعرف .

ــ وسائلهم أعظم .

ــ العامل البشرى أهم شىء .

ــ وبعد ؟

ــ لم أشأ أن أقول لك شيئا حتى أتأكد من عرضهم .

ــ هل عرضوا عليك شيئا ؟

ــ أن أقوم برحلة أكشف فيها بعض واحات فى صحراء مصر ، على أن يقوموا هم بالتكاليف .

ــ هل التكاليف هى كل ما فكرت فيه ؟

ــ لقد عودتنى ...

ــ ألا ترحمنى .. ألأنى عودتك أن تفعل ما تشاء لا ترحمنى ؟

ــ آمال عريضة أحملها يا أبى .

ــ حققها يا ابنى .. ولكن اعلم أنك تحققها من نبضات قلبى الخائف ، ومن هذا الشعور البغيض من القلق يستولى على نفسى فيجعلنى أفضل الموت على الحياة . حققها يا ابنى .. حققها .

ــ لقد أثقلت عليك يا أبى .

ــ أكثر مما تظن .

ــ أتدعو لى ؟

ــ ولا أملك الا أن أدعوا لك .

واليوم يعود . أرجو أن يكون قد حقق آماله جميعا .. لا لا قدر الله .. بل أرجو أن تمتد آماله ما امتدت

به الحياة .. ولكن أرجو فقط أن تكون القاهرة هى مسرح آماله ولبست أوربا وليست الصحراء .. لعل عودته الناجحة هذه التى تحيطه بهالات من التكريم والحفاوة والتعظيم .. لعلها تتيح له من قلوب القاهرة ما تجعله يستقر بآماله فيها ، فاننى والله أخشى لو سافر مرة أخرى ألا أراه .. أقصد ألا يرانى بعدها .. عوداً حميدا يا صالح .. مرحبا بك فى حضن أبيك يا صالح .

— ٧ —

تم الزواج كما شاءت أن يتم • كانت قد دبرت لكل عارض ما يهدمه •• كانت تعرف أن الزواج حين يتم بهذه الصورة العنيفة التى رسمتها سيكون قاسيا على نفس نامق وسيجعله نافرا دائما منها ومن الحياة بجانبها ، ولكنها تعلم أن الناس دائما يؤثرون العافية ولا يحبون أن تكون حياتهم نكدة ، وهى تستطيع دائما أن تملأ الحياة مرحا وحبا •

ــ أغاضب أنت ؟

ــ لقد رسمت ونجحت •

ــ اسمع : لقد أعطيتك نفسى لأنى أحبك •

ــ أم لأنى سأكون ناظر الوقف ؟ •

ــ اذكر جيدا •• هل كنت مرشحا لنظارة الوقف يوم أعطيتك نفسى ؟

ــ لم أعد أذكر شيئا •

ــ ولا تلك اللحظات السعيدة ؟

ــ أدفع ثمنها الآن •

ــ أزواجك منى هو الثمن الذى تدفعه ؟

ــ ارغامى على هذا الزواج •

ــ ولو كان لك الخيار ؟

ــ لعلنى كنت أختارك •

ــ أيهما أجمل : أن تختارنى أم أن أختارك ؟

ــ الرجال يختارون فى العادة •

ــ يختارون نساء لا يملكن من أنفسهن شيئا ، ويعيشون معهن وهم لا يدرون ان كانت زوجاتهم يحببنهم أم هن يؤدين أدوارهن كزوجات بلا حب ولا عاطفة ولا ذكريات •• أما أنت فقد اختارتك زوجتك من بين جميع الرجال ، واختارتك لنفسك ، لم تكن تعلم يوم وهبتك نفسها أنك ستصبح ناظر أكبر وقف فى البلاد •• وتمسكت بك وتزوجتك •• أيهما أجمل عندك ، أن تختار أنت أم أن أختارك أنا ؟ ••

وسكت •• وبدا عليه شىء من الزهو ، وأطرق قليلا ثم رفع رأسه اليها :

ــ على أى حال لقد أصبحت حرم ناظر الوقف •

ــ أكثير هذا على ! ؟

ــ مطلقا ، فأنت من بيت عريق •

ــ اذن لماذا تظل تقول هذا ؟ !

ــ لأن مكانتك تحتم عليك أوضاعا جديدة •

ــ مثل ماذا ؟

ـ لا حفلات •• لا خروج •• لا زيارات الا بعلمى ••
لابد أن أعرف فى كل لحظة ماذا تفعلين •

ـ لك هذا ، ولكن ••

ـ نعم •

ـ عليك أن تعوضنى عن هذا السجن •

ـ لك ما شئت من أموال •

ـ لا يكفى •

ـ فماذا تريدين ؟

ـ أريدك أنت •• أوقات فراغك •

ـ كلها لك •

ـ اتفقنا •

ـ اتفقنا •

ـ ولكن هناك مشكلة صغيرة •

ـ ماذا ؟

ـ ابنك •

ـ ابنى ؟ !

ـ سيأتى فى موعد غير مناسب •

ـ كيف •• أنت حامل ؟

ـ لعله يأتى قبل الشهر السابع •

ـ قبل الشهر السابع •

ـــ احسبها أنت •

ـــ وبعد ؟ !!

ـــ فى الوقف مشايخ كثيرون ؛ وما أسـهل أن يصـدروا الفتيا •

ـــ اذن فأنت حامل ؟

ـــ سعيد أنت ؟

ـــ ولكنك لم تستعملى هذا السلاح وأنت تنفذين خطة الزواج •

ـــ لو كنت احتجت اليه لاستعملته •

ـــ لا تفكرى فى الأشهر واهتمى بصحتك •

ـــ أنت تسـتطيع أن تصنع كـل شىء •• ألست ناظر الوقف ؟

ـــ اذن فأنت حامل •• اذن فأنت حامل •

وضمها الى صدره ونسى فى حضنها فترات القهر التى كانت السبب فى فرضها عليه •• نسى كل شىء الا أن هذه المرأة المثيرة ستصبح قبل شهور سبعة أم ناظر المستقبل •



وضمها الى صدره ونسى فى حضنها فترات القهر

- ٨ -

لم تكن نديرة تحب أن تبقى فى بيت أمها ، فقد كانت تشعر دائما أنها فى غير مكانها ، فان الهام بعد أن طلقت من زوجها أرادت أن تنتقم لهـذه الفضـيحة التى أطاحت بها وبزوجها • وأرادت أن تشعر أنها امرأة تستطيع أن تجد من يرغب فيها كما استطاع زوجها أن يجد من ترغب فيه • وزواج مثلها ليس عسيرا فهى جميلة وهى ثرية وهى فى ريعان الشباب ، ولم تكن خيانة زوجها لها الا لرغبة الخيانة فى ذاتها • ففى كثير من الأحيان تصبح الخيانة الزوجية هدفا لا مبرر له ، وقد كانت خيانة نامق من هذا النوع • وحين فكرت الهام فى شأن نديرة وماذا يمكن أن يصير اليه أمرها اذا هى تزوجت رجلا آخر ، طمأنت نفسها أن نديرة طفلة ما تزال ، وسوف تجد المشكلة فترة طويلة حتى تصبح مشكلة خليقة بالتفكير والبحث •

لم تمر شهور على فضيحة نامق حتى وجدت الهـام من

يسألها رأيها في الزواج ، والهام ذات ذكاء بارع تستطيع أن توافق فتصوغ الرفض كأنه موافقة •

— ومن يرضى بزوجة مهجورة ؟

وجملة كهذه من الهام الثرية الجميله ابنه فهمي باشا محسن تستطيع أن تدور بمحافل القاهرة جميعا في ساعة من سهرة ، وقد استطاعت الجملة فعلا أن تصبح على الشفاه ، واستطاعت أيضا أن تصطاد لها الخطاب من كل راغب في ثروة أو راغب في شهرة أو راغب في جاه أو راغب في زواج أو راغب في هذا جميعا • ولأمر غير مفهوم يجتذب الثراء الثراء وخاصة في الزواج • لعل العروس تحب أن تطمئن أن زوجها لن ينفق من مالها ؛ أولعل الزوج يحب أن يطمئن أنه سيجد في مال زوجته سنداً ان نفدت ثروته ، أو يجد في ثروته وثروتها جميعا وسيلة لمزيد من الثروة • على أية حال هي ظاهرة من الظواهر الكونية تحدث ولا تبرير لها ولا تحتاج الى تبرير كجاذبية الأرض أو كرويتها •

وهكذا تم زواج أحمد بك طلعت القاضي بالمحاكم المختلطة وابن طلعت باشا على ، من الهام هانم فهمي ابنة فهمي باشا محسن وطليقة نامق بك ابراهيم أحد المستحقين في الوقف ، ولم يكن الى ذلك الحين مرشحا لنظارة الوقف ولا كان يخطر ببال أحد أنه سيكون مرشحا في يوم من الأيام •

وهكذا اطمأنت الهام أنها استطاعت أن تحصل لنفسها

على زوج خير من طليقها هذا العربيد الذى يخونها ولا يحسن حتى أن يخفى خيانته •

وأنجبت الهام لزوجها الجديد خديجة . ولم تكن نديرة قد أكملت من عمرها السنوات الثلاث • ورغم أن أحمد كان يحاول دائما أن يكون رقيقا مع نديرة ، الا أن نديرة كانت دائما تحس أنها فى غير مكانها ، وكانت الأم تحس بذلك فكانت تحاول بفيض من العطف أن تمحو من ابنتها هذا الشعور ، ولكن العطف المسكوب فى سعة يزيد نديرة شعورا أنها فى غير مكانها ••• فهل مكانى بيت أبى ؟ •• وماذا يستطيع أبى أن يهيىء لى وهو يعيش وحيدا مشغولا بفراغه ؟ • ان بيت أبى أيضا ليس مكانى •• شعور شب معها تحس به وهى طفلة . ولم يباغتها التفكير فيه حين هيأ لها سنها أن تفكر •

وكان أحمد يحس من نديرة بهذا الشعور فلم يكن غريبا منه أن يحبذ زواجها من يسرى • ولم يكن غريبا من الأم أن تقبل الزواج فالشاب مناسب من كافة الوجوه •

أما نديرة فقد أحست أنها تستطيع أخيرا أن تكون فى مكانها الطبيعى •

وأراد نامق أن يظهر عطفه على ابنته فأصر أن يكون زواجها فى قصره فابنة ناظر الوقف يجب أن يكون زفافها فى قصر ناظر الوقف •

وحين رأت الهام نازك لم تحدق فيها فهى تعرف كيف

تكون متكبره ، ولكنها أحست بشعور عجيب من الرضى ، انها فى عمر نديرة أو تكاد .. ان هذه السيدة التى تزوجت طليقى لابد أن تخونه .. ستنتقم لى هذه الفتاة .. لا .. لم تستطع السنون الطويلة أن تمحوا ما أذلنى به ، طعننى فى أنوثتى وفى سمعتى وجعل منى أحدوثة بين الناس .. ان لم تنتقم لى نازك فانى أنا سأنتقم .. بل انى سأنتقم حتى وان انتقمت نازك .. انها حلوة .. وصغيرة .. وحامل فى شهورها الأخيرة ولم يمر على زواجها خمسة أشهر ، فليصبح ناظر وقف وليصبح باشا وليصبح أعظم انسان فى الوجـود . فان هذا جميعه سيجعل الانتقام أعظم روعة ؛ فكلما ارتفع المكان الذى يسقط منه كانت السقطة أبشع وأفظع وأدعى الى شفاء النفس التى تريد أن تنتقم .

كان صالح واقفا فى الحفل حائرا ... ان بعضا من هؤلاء كان زميلا له فى كلية الحقوق ، ولكن أحدا منهم لم يكن صديقا له .. انه لا يدرى كيف جىء به الى هذا المكان . لقد وجد الدعوة موجهة اليه من نامق باشا ، وطبيعى أن يعرف هو نامق باشا فكل مصرى يعرفه ، ولكن كيف عرفه نامق باشا أو حتى كيف عرفه مـوظف الوقف المخـتص بتوجيه الدعوات ؟

انتحى مكانا وراح يجيل عينيـه فى الحفـل ... انها الصحراء ... انهم جميعا حبات رمل متشابهة ، الايماءة هى

الايماءة ، والابتسامة هى الابتسامة ، والانحناءة هى الانحناءة.

•• صحراء من الأرستقراطية مهما تتعمق فيها لن نجد ماء •• قليلون منهم قليلون اهتموا بالبحث ، وقليل منهم أقل اهتم بالفن ، ولكنهم جميعا يهتمون بالايماءة والابتسامة والانحناءة ••• ولكن هناك شخصيات أخرى •• هؤلاء الذين لم يقف بهم مجد آبائهم من زرع أسمائهم فى أرض مصر لتصبح نباتا مباركا ولتصبح شجرات راسخة فى تاريخها •• أصولهم مصر وجذورهم فى مصر ، وفروعهم تستاف هواء مصر ، وتهب أريجها لأرض مصر ولسماء مصر •• هؤلاء هم الواحات فى صحراء الرمال والماء فى الأعماق والاخضوضار المزدهر بالحياة فى الاصفرار الشاحب بالموت من لون الصحراء •• ولا تكون الواحة الا فى الصحراء ، ولا يحلو الماء كما يحلو فى البيد الواسعة للمسافر الصديان يقتله العطش أو يكاد حتى يجد لمعة الماء وظل الشجر •

أريد أن أكون مع هؤلاء •• بينهم •• انهم يعيشون مع حبات الرمل هذه ، ولكن كما تعيش الواحة من الصحراء •

ــ مرحبا أستاذ صالح •

وبهت صالح وهو يجد نفسه وجها لوجه أمام نامق باشا فى وجهه المتكبر وفى ابتسامته التى تعرف كيف ترسم نفسها على شفتيه ، ويعرف نامق أنه ازاء بغتة ترمى بظلها الكثيف على ضيفه •

ـــ عرفت صورتك من الجرائد ، فقد قمت بعمل عظيم فى الصحراء •

ـــ يشرفنى ثناء سعادتك يا أفندم •

ـــ خريج حقوق ومكتشف حقا ، انك من الشباب الذى تعتز به مصر •

ـــ هذا رأى يملؤنى فخرا •

ـــ أريدك أن تعمل معى •

ـــ أنا يا أفندم ؟

ـــ تشرف على قضايا فى الوقف ، وتكون الصلة بيننا وبين الحكومة •

ـــ يا أفندم •

ـــ تستطيع أن تأتى لمقابلتى غدا فى السابعة مساء • أنا دعوتك ليكون أول يوم تدخل فيه القصر يوم فرح ، ولأتعرف بك أيضا بعد السمعة العريضة التى كسبتها •

ـــ دعوتك شرف ••• وسأكون عند سعادتك فى الموعد •

ـــ شكرا •• تعال أعرفك على موظفى الوقف •• أظنك تعرف بعض المدعوين فان منهم من تخرجوا فى الحقوق مثلك •• تعال فكثيرون هنا يحبون أن يتعرفوا بك •

ويتأبط نامق باشا ذراع صالح المذهول ويجوسان خلال الحفل ، ولا يستطيع صالح أن يجد شيئا يقوله الا :

ـ ألاحظ أن سعادتك تميل الى طراز لويس السادس عشر في الأثاث •

ـ لاحظت ذلك ؟ الواقع أننى أحب هذا الطراز ، كما أننى أشفق على لويس السادس عشر •

ـ ورث الثورة مع العرش •

ـ وكان الذوق فى عصره قد بلغ القمة •

ـ فعلا •• فاننى أعتقد أن طراز الامبراطورية أو نابليون فى الأثاث يوحى بالغلظة والخشونة •

ـ هذا طبيعى •••

ـ وألاحظ أيضا أن سعادتك تعجب باولأبيسون الذى يصور الأشخاص •

ـ فعلا •

ـ أتراك تحبه لأنك تحب الانسان ؟

ـ لا أعرف •

ـ حتى اطارات الجوبلان كلها أشخاص •

ـ انك لم تضع وقتك فى أوربا •

ـ ان دراسة الأوبيسون والجوبلان وأنواع الثريات وأنواع الستائر والسجاجيد دراسة لتفكير العصر وثقافته •

ـ قليلون من الذين دخلوا القصر التفتوا الى ما التفت اليه •

ـ لعل الذين يدخلون يعتبرون رؤيتهم هذه الأشياء

أمرا طبيعيا ، أما أنا فلم أر مثل هذه الأشياء الا فى اللوفر وفرساى متاحف باريس ولندن .

ــ أنا أعلم أن أباك ميسور الحال .

ــ شيخ هو متخرج من الأزهر ، فهو لا يفكر فى تأثيث بيته الا بالشىء النظيف اللائق .

ــ اننى أزداد اعجابا بك فى كل كلمة تقولها .. تعال ... لا أدرى ما هذه المصادفة ؟ ان أول من سأعرفك به أنت تعرفه طبعا ... أحمد بك طلعت .

كانت عينا فتوح تتبع ــ نامقا وصالحا فى دربة .. لابد أن تعرف كريمة بهذه الصلة الجديدة ..

ويستمر نامق فى حديثه مع صالح :

ــ طبعا فى أوربا كانت كل الحفلات التى تحضرها يختلط فيها الرجال بالحريم ... كثير من الحفلات هنا تقام على أساس الاختلاط ، لا أعرف ان كنت حضرتها أم لا ... أنا كناظر وقف كان لا يمكن أن يختلط عندى الرجال بالحريم .

ــ اسمح لى سعادتك أن أنقل اليك ما يقوله الناس .

ــ بل اسمح لى أنت أن تفعل ذلك معى دائما ... فأهم شىء اخترتك له أننى أعرف أنك رجل مجتمع وتستطيع أن تنقل لى دائما ما يقوله الناس .

ــ يقولون انك بعد أن صرت ناظر وقف أصبحت انسانا آخر .

ـــ هذا مديح على ما أظن •

ـــ اننى يا سيدى أعتبره مديحا عظيما •

ـــ لقد قلت رأيك فى قبل المنظارة بذكاء تسديد ••• على كل حال أرجو أن تنتقل الى بعد ذلك كل ما تسمعه مديحا كان أم ذما •

ـــ ما أراه من بساطة سعادتك سيتشجعنى على الصدق •

ـــ المديح أسمعه كثيرا بحكم السلطة التى أمارسها •

ـــ أعرف ذلك •

ـــ أحب أن أسمع شيئا جديدا •

ـــ اذن فأنت تحب أن تكون عادلا •

ـــ بقدر الطاقة •

ـــ سعادتك تعرف أن العدل ليس سهلا •

ـــ ألم تقل اننى تغيرت ؟

ـــ ولكنى لا أعرف مقدار التغير •

ـــ ستعرفه •• تأكد أنك ستعرفه •

— ٩ —

هل ظن أن الدنيا دانت له ؟ .. هل خيل اليه أننى نسيت ؟ .. أيريد أن تطمئن به الحياة وينعم فى نظارة الوقف وبالزوجة الجديدة وبالوليد القادم ؟ .. أننى أعرفه يحب دائما أن يطمئن .. يحب أن يغامر ولكن فى تكتم ، ويحب أن ينتهب من الملذات كل ما تصل اليه يده ولكن على أن يكون مطمئنا .. كيف ركب هذا التركيب العجيب ؟ لست أدرى ولا يهمنى أن أدرى ، ولكن هو كذلك .. لا يحب القلق ولا يحب أن يتسرب الى نفسه شىء مما يثير الشكوك ... أمطمئن هو لزوجته ؟ .. انى أعلم أنه يحاول أن يطمئن نفسه ما وسعه الجهد ، فهو يبث حولها العيون الرواصد وهو يمنعها من الزيارات وهى لا تلتقى برجل الا الأغوات .. لالا ألماظ ولالا بشير .. أعرف كليهما . كانا لا يحسنان فى الدنيا شيئا ، فلا هما من النساء حتى أكلفهما بما يكلف به النساء من الخدم ، ولا هما من الرجال حتى أعتمد عليهما فيما يقوم به الخدم من الرجال .. ولكننى كنت أحب كلا منهما فهما يحفظان الكثير من الحكايات ، وهما يستطيعان دائما أن ينقلا الى أخبار السيدات الأخريات

•• أتستطيع نازك أن تكتفى بما يرويه لها لالا ألماظ ولالا بشير ؟
•• انها امرأة تحب أن يعجب بها الرجال ولا يمكن أن يعجب بها الرجال وهى فى خدرها لا ترى الى الناس ولا يرى الناس اليها • ولكنها قادرة ••• تستطيع أن تصنع ما تشاء ••• استطاعت أن تتزوج نامق وليس هذا بالأمر اليسير •• ما كان نامق ليتزوج امرأة اتصل بها الا اذا وقع تحت طائلة ارهاب شديد •

كيف استطاعت نازك أن تدبر هذا الارهاب •••: انها قادرة •

وها هى ذى فتاوى المشايخ تتوالى أن الجنين يمكن أن يمكث فى بطن أمه أقل من ستة أشهر ثم يخرج الى الوجود وليدا شرعيا أواجه الحياة فى ثقة واطمئنان • انه ابن العقد الشرعى وليس ابن اللحظة العابرة •• انه تدبيرها •• ولم تنس الأطباء فأبحاثهم عن فترة بقاء الوليد جميعها تؤيد هذه النظرية التى وضع أسسها المشايخ •• أطباء جدد يريدون أن يبدءوا طريقهم الى الحياة بالغنى ، ولكن لا يهم فانهم أطباء على كل حال •• انه تدبيرها •• فلو أن نامق فكر لاستدعى أكبر طبيب وطلب اليه أن ينشر بحثا يؤيد هذا الرأى ، وسينسى نامق فى غروره أن الطبيب الكبير لن يقبل فسمعته عنده أعظم من سلطان الباشا الناظر •••لم يلفته الى صغار

الأطباء الا هى ... انها قادرة ... ولكن لا أريد أن أتركها وشأنها ... أريدها أن تجد الطريق حتى تسير فيه ...

ـ أحمد بك .

ـ أفندم الهام هانم ؟

ـ متى تعود نديرة من شهر العسل ؟

ـ أنت أدرى .

ـ أظنها ستعود بعد أسبوع .

ـ ربما .. هل أرسلت اليك خطابا ؟

ـ لقد قالت قبل أن تسافر أن لن تغيب أكثر من شهرين ، فهى تحب أن تقضى الشتاء فى القاهرة .

ـ لعلها تعود بعد أسبوع .

ـ أريد أن أقيم لها حفلا .

ـ ألم يقم لها أبوها فرحا ما زالت القاهرة تتحدث عنه حتى الآن ؟

ـ ولكنى أنا لم أقم لها حفلا .

ـ وما البأس ؟ نقيم لها حفلا .

ـ أريده حفل الموسم .

ـ وليكن حفل الموسم .

ـ أرجو أن تأمر بالاعداد له .

ـ ألا نحدد موعده ؟

ـ بعد عودتها بأسبوع .

ـــ ما اسم الموظف الذى تقول انه عين فى الوقف وأصبح ذا حظوة لدى نامق ؟

ـــ انك لا شك تعرفين اسمه ، فقد نال شهرة واسعة منذ كشوفه فى الصحراء •

ـــ أتحاسبنى على النسيان ؟ •• ما اسمه ؟

ـــ صالح عبد العال •

ـــ آه تذكرته •

ـــ لماذا تسألين ؟

ـــ أريد أن أدعوه •

ـــ ما المناسبة ؟

ـــ بلا مناسبة •

ـــ الهام هانم •• هل لديك مشاريع لا أعرفها ؟

ـــ تستطيع أن تعرفها اذا شئت •

ـــ انى أشاء لا شك •

ـــ تعرف أننى لا أنال نصيبى كاملا فى الوقف ، وأنا أستكبر أن أتحدث الى نامق •

ـــ الهام هانم •• أعتقد أن هناك سببا آخر •

ـــ أليس هذا سببا وجيها ؟

ـــ وجيه حتى أعرف السبب الحقيقى •

ـــ ما دام هذا السبب يكفيك فادعه •

* * *

كانت الثريات تكاد تضىء وحدها حتى ولو لم تصل اليها الكهرباء ، فهى من الكريستال الثقيل الذى يطلقون عليه باجيس . كرات ضخمة من البلور كأنها الماس تخطف الأبصار خطفا . وكانت البسط من النوع الصينى الذى يكتنف القدم جميعا حتى ليقتلع السائر عليها أقدامه منها اقتلاعا . وكان الأثاث فخما غاية الفخامة فهو جميعه من الأوبيسون الذى صنعته فى فرنسا يد رقيقة من خالص الحرير فى عهود الملكية الباذخة لفرنسا ، وكانت الستائر أيضا من الأوبيسون .

وكان المدعوون جميعا فى أفخر ملابسهم ؛ فالرجال فى ملابس السهرة السوداء ، والنساء فى ذروة افتتانهن بفساتينهن ، والجواهر تتلألأ تحت الثريات كأنها ضياء من الضياء والمعاطف والأوشحة الفرير الزبلين التى تقذف بها أيد ناعمة فى غير اكترات عند المدخل ، فكأنما الناس قد صنعوا لهذا الأثاث أو كأنما الأثاث قد صنع لهؤلاء الناس ؛ فالأثاث والآدميون جميعا أجزاء من صورة رائعة الفخامة ولا يكتمل قوامها الا بوضع هذه الأجزاء بعضها الى بعض .

والهام تمر بالمدعوين تحييهم فى عظمة وأدب وفى مران ، والمدعوون يعرفون ما يصنعون فلا يروعهم مما حولهم شىء ولا يبهرهم مما يحيط بهم بذخ أو فخامة ، ونديرة تمر بين القوم وقد وضعت على شفتيها ابتسامة تريدها أن تكون سعيدة فتنجح فى ذلك نجاحا لا بأس به ، ويسرى يسلم على المدعوين

شاردا فعيناه الى المدخل لا تريمان عنه •• أكان لابد لسميحة أن تصر على المجىء ؟ تريد أن ترى بيتى ؟ •• معها حق •• كيف تستطيع أن تراه الا فى حفل كهذا ؟ ماذا أفعل لو أحست نديرة ؟ •• وما الذى يجعلها تحس ؟ •• أيستطيع أخوها أن يتصرف كما يتصرف هؤلاء القوم ؟ •• أتستطيع هى ؟ •• أكان لها أن تجىء ؟ •• وما البأس أن تجىء ؟ •• لا أحد يعرف صلتى بها •• انها ذكية •• ونديرة ذكية •• ابنة ناظر الوقف •• يستطيع أن •• ولماذا ؟ •• ولكن تأخرت سميحة •• ترى ما نصيب نديرة من الوقف ؟ • ان لها نصيبا عن أبيها ونصيبا عن أمها •• وما الفائدة ؟ الوقف لا يباع •• ولكنه يدر ريعا عظيما •• أتفكر فى المال الآن ؟ •• سميحة طلباتها لا تنتهى ••

وصالح واقف ينفض الحفل بعينيه •• أصبح له أصدقاء بين هؤلاء الناس •• فكثير منهم سعى اليه لما له فى الوقف من نفوذ •• انه لا يبحث عن هؤلاء الذين سعوا الى نفوذه ، انه يريد هؤلاء الذين يعجب بهم من أبناء الفلاحين الذين صنعوا أنفسهم بأيديهم وبما قدموا لبلادهم من تضحيات •• هؤلاء الواحات الذين يراح اليهم فى صحراء الأرستقراطية ، وقبل أن يعثر على أحد منهم :

ــ أهلا صالح بك •

ــ الهام هانم لا شك ؟

ــ ذكاؤك لا شك فيه ••

ـ أنا سعيد بلقائك •

ـ اليوم أرجو أن تتمتع بالحفل ، ولكنى أريد أن أراك فى فرصة هادئة فان لى معك حديثا •

ـ أنا دائما تحت أمرك •

ـ استمتع الليلة بالحفل وسوف أرسل اليك قريبا •

ـ تحت أمرك •

وتنصرف عنه الهام وتعود عيناه تجوسان فى الناس ، ولكن عينين أخريين كانتا تنظران اليه دون أن يحس • انه أنيق فى غير تصنع لا تكلف فى ملبسه ، ولكنه يبدو وكأنه يهتم بأناقته خير الاهتمام •• ان قوامه الرشيق يتيح له هذه الطبيعة النادرة من الأناقة البالغة التى تبدو وكأنها مخلوقة معه ، لم يبذل فى خلقها جهدا أو تفكيرا •• ويقولون انه يجيد الحديث ، ولا شك أنه يتقن فن الحياة ، فالرجل الذى ينتقل من انجلترا الى الصحراء رجل يتقن فن الحياة •• ما الذى يجعله واقفا وحده هكذا ؟

ـ وحدك ؟

ـ أبحث عن صديق •

ـ ألا تعرف أحدا من هؤلاء ؟

ـ أعرف جميع الرجال تقريبا •

ـ فلماذا أنت وحدك ؟

ـ لأنى أبحث عن صديق •

ـ ألا يعجبك منهم أحد ؟

ـ وأنت ؟

ـ أنا صاحبة البيت •

ـ أعرف ذلك •

ـ كيف عرفت ؟

ـ لأنك تفضلت ببدء الحديث معى •

ـ فقط ؟

ـ ولأنى أعرف أن لالهام هانم ابنة أخـــرى غـــير نديرة هانم •

ـ فأنت لا تحتاج الى أن أقدم نفسى •

ـ خديجة هانم لا تحتاج الى تقديم نفسها ؟

ـ ولكنك تسألنى ان كان المدعوون يعجبوننى أم لا ؟

ـ أرى فى وجهك شيئا لا أراه فى وجوه الآخرين •

ـ أمديح هذا أم ذم ؟ •

ـ ماذا تعتبرينه أنت ؟

ـ ان من تراهم هم صفوة الأرستقراطية المصرية •

ـ ومع ذلك أسألك ماذا تعتبرين قولى ؟

ـ يصعب أن نطلق حكما عاما •

ـ لا زلت مصرا على السؤال •

ـ انك تريدنى أن أذم هؤلاء المدعوين •

ـ هل تعتبرين ابداء رأيك فيهم ذما ؟

ـــ أنت تستدرجنى للذم •

ـــ ربما •

ـــ يسهل جدا أن أكسب اعجابك بى بذمهم •

ـــ على أن يكون هذا رأيك •

ـــ ان ذمهم ظلم كبير •

ـــ أتعتقدين ذلك ؟

ـــ انهم أبناء بيئتهم •• ورثوا ما لا يعجبك فيهم مع الثروات التى ورثوها •

ـــ ولكنهم عاشوا فى مصر عمرهم جميعا فلم يستطيعوا أن يكونوا مصريين أبدا •

ـــ ماذا تقصد بمصريين ؟

ـــ يكفى أن تسمعى لغتهم •

ـــ ألم أقل لك انهم ورثوا بيئتهم ؟

ـــ كانوا يستطيعون على الأقل أن يتعلموا لغة بلادهم • وهل اللغة فى رأيك هى دليل المصرية ؟

ـــ أساس من أهم الأسس •

ـــ بعضهم يتكلم العربية •

ـــ أيرضيك هذا ؟

ـــ لا أريد أن أظلمهم •

ـــ ولكنك أنت تجيدين العربية •

ـــ أصدقائى جميعهم من المصريين •

ـــ ويحدثونك بالعربية .

ـــ أجيبهم بالعربية .

ـــ لماذا لم يصنع هؤلاء مثلك ؟

ـــ لا أدرى . ولكننى صممت منذ طفولتى على أن أتقن العربية .

ـــ ونجحت .

ـــ اننى أحفظ شعرا .

ـــ لا أصدق .

ـــ أنت تحب شوقى ؟

ـــ حتى هذا تعرفينه ؟

ـــ اننى أقرأ الصحف بانتظام .

ـــ لماذا ذكرت شوقى ؟

ـــ لأنى أحفظ قصيدة له فى مرقص كهذا الذى نحن فيه .

ـــ المؤكد أن شوقى لم يتصور أن قصائده فى وصف المراقص ستذكر فى أثناء هذه المراقص .

ـــ لك حق ، لقد وصفها لنفسه ولم يصفها ليقرأها الراقصون .

ـــ الراقصون لا يقرءون العربية .

ـــ ولكنى أحفظ القصيدة .

ـــ أى قصائد المراقص تحفظينها ؟



لكنهم عاشوا فى مصر عمــرهم جميعا فلم
يســتطيعوا أن يــكونوا مصريــين أبــدا

ـــ جميعها .

ـــ جميعها ؟

ـــ حتى :

مـــال واحتجب وادعى الغضب
ليت هاجـــرى يشرح الســـبب
عتبـــــه رضى ليتـــــه عـــتب

ـــ ألاحظت فى هذه القصيدة كلمة :
فارســــــية ؟

ـــ نعم :

فارســــــــية بزت العـــــرب
بيـــد أنهـــــا بعض ما وجـــب

ـــ ألاحظت أن كلمة فارسية تكون شطرة كاملة ؟

ـــ ومع ذلك راح حافظ يسخر من القصيدة .

ـــ المنافسة بين الفنانين مكسب لمن يستقبلون الفن .

ـــ ولكن ليست هذه القصيدة هى أحبها الى .

ـــ فأيها اذن ؟

خبـــأها كاهـــن فهى وجود وعدم
طال عليها القدم ناحية فى الهرم

ـــ يخيل الى أنه لم يقل هذه القصيدة الا ليمدح نفسه .

ـ وهو محق •

ـ أتذكرين هذا الأبيات :

أى فــتى ذلكـــــــن العــربى العلم

يتريها ســـاهرا ليلتــه لم ينــم

قــلن تجاهلنه ذلك رب القــلم

شاعر مصر الذى لو خفى النجم لم

ـ وانه لكذلك •

ـ أتحفظ له شعرا ؟

ـ أحبه لدرجة أننى لا أستطيع أن أحفظه •

ـ لقد بدأت تستعمل أسلوب أولئك الذين لا تعجب بهم •

ـ أترين ذلك ؟

ـ وأرى أنك أيضا بدأت تضع على شفتيك أحيانا ابتسامة كالتى يضعونها على شفاههم •

ـ أرجو ألا يكون هذا ذما •

ـ أرجو أن تظل بطبيعتك •

ـ ربما كانت سيئة •

ـ لن تكون أسوأ من التكلف •

ـ التيار حولى شديد •

ـ ان الذى خاض الصحراء لا يجوز أن يقول هذا •

ـــ أخشى على نفسى •

ـــ أنت محق فى خشيتك •

ـــ ادعى لى أن أظل كما تريديننى أن أكون •

ـــ سأدعو لك أن تظل كما تريد أنت أن تكون •

ـــ ليس المهم الابتسامة والحديث •

ـــ انها مظاهر •

ـــ الذى أخافه هو أن أتغير من الداخل ،

ـــ أبدأت تشعر بهذا الخوف ؟

ـــ الوظيفة التى أشغلها وثقة الباشا فى تجعلنى فى قلق دائم أن أفقد كل هذا فى لحظة •

ـــ بماذا كسبت ثقته ؟

ـــ أقول له الحق •

ـــ فقل له الحق دائما •

ـــ ان أمثاله يتحملون الحق مرة بين عشر مـــرات من النفاق •

ـــ فماذا أنت صانع ؟

ـــ ألم أقل انى خائف ؟

ـــ أتنوى أن تنافق !

ـــ انى خائف •

★ ★ ★

حين دخلت سميحه الحفل التقطتها عينا يسرى فسارع اليها ، وكانت اللحظات التى مرت بها قبل أن يصل اليهــا عصيبة ، فقد هالها ما ترى ووجف قلبها وتسمرت مكانها تبحث عن يسرى ، فقد خيل اليها أنها تغرق فى بحور من الفخامة والنور لم تتعودها • نظرت الى أخيها فوجدته فاغرا فاه مذهولا فازداد اضطرابها ولم تجد شيئا تفعله الا أن تنظر الى أخيها •

ــ اقفل بوزك •

وانتبه فتحى الى نفسه وأقفل فمه ، ولكن التعبير الذى فى عينيه لم يستطع التغلب عليه • لحظات مــروعة ومخيفة ، وأدركهما يسرى :

ــ أهلا •

ــ الحقنا •

ــ اثبتى •

ــ أنا لا أعرف أحدا هنا •

ــ الحمد لله •

ــ ماذا أفعل ؟

ــ تعالى أولا أقدمك الى نديرة •

ــ ماذا ستقول لها ؟

ــ تعالى •

***

ـــ فتحى بك فاضل من رجال الأعمال ، والسيدة أخته سميحة هانم فاضل •

ونظرت اليهما نديرة نظره عميقه ولكنها كافية لأن تعرف أنهما غريبان عن هذا الوسط جميعه . ولكنها لم تشك فى شىء . فزوجها يستطيع أن يعرف فى الحياة العامة أناسا من طبقات مختلفة •

ـــ أهلا وسهلا •• شرفتم •• تفضلوا •

— ١٠ —

هن يقبلن لزيارتى وبقدمن الاجلال والاحترام •• سيدات معروفات بذواتهن لا يتغيرن ، حديثهن معاد لو كان طليا لفقد طلاوته : فما الخطب وهو من أول أمره حديث ثقيل لا رواء فيه ولا جاذبية ؟ وهو يأبى أن أتـرك القصر إلا لزيارات يعرفها ، وهو حريص على أن يعرفها ، ثم هو حريص بعد ذلك على أن يتأكد منها بطريقة أو بأخرى • فالسائق من القصر ، ولالا ألماظ ولالا بشير رقيبان لا تفتر لهما همة ولا يهن لهما نشاط ••• وماذا يصنعان ان لم يرقبا ؟ •• لقد عرفا منذ وقت طويل أن الوظيفة الوحيدة التى يستطيعان أن يقوما بها هى المراقبة والحديث عن الغير ، وهو أيضا وليد المراقبة •

لقد نفذ نامق اتفاقه ومن أدرانى أنه نفذه ؟ أننى لا أستطيع أن أفرض عليه من العيون مثلما يفرض •• كيف أعرف أنه حين يذهب الى الاسكندرية يذهب للعمل وحده ؟ ان قصره هناك على البحر يستطيع أن يستقبل فيه من يشاء ، وأنا هنا أطمئن نفسى أنه نفذ اتفاقه •

كيف أستطيع أن أبث حوله العيون مثلما يبثها حولى ؟..
ان الكوة الوحيدة التى أطل منها على العالم الخارجى هى كريمة ، وهو لا يجسر أن يقصيها عنى حتى لا تفشى من سرى ما يريد له أن يظل سراً .

أين ذلك الهمس الأثيرى الذى كان يشيع فى أرجاء المكان حين أطل عليه ؟ .. رءوس النساء تتمايل ، وعيون الرجال تثبت ، ويتهامس الجميع ، ويشعر المكان أن شيئا جديدا حدث فيه .. وكان دائما جديداً .. هذه النشوة التى كنت أحس بها مزيجا من الزهو والفرح والاعجاب بنفسى والرضا عن الناس .. كنت أحس أنهم يقبلوننى بعيونهم ، وكنت أحب أن أرد لهم هذه القبلات .. وكنت أحاول بعينى أن أفعل ....

طال الأمد على هذا جميعه .. وكان لابد للأمد أن يطول ... تزوجت من ناظر الوقف .. وجاء نادر . لا يمكن أن أذهب الى الحفلات ونادر فى طريقه الى المجىء .. وقبل أن يظهر فى الطريق كان هناك هذا الاتفاق بينى وبين نامق ألا خروج ، وكان لابد من الطاعة أو من التظاهر بالطاعة فى أول الأمر . فقد كان نامق طول هذه الفترة لا يستقر على حال ... فهو حينا لطيف يعاملنى برقة ، وهو حينا خشن أحس القلق والخوف فى عينيه .. ليس هذا غريبا على الرجال مع المرأة التى تقدم نفسها قبل الزواج .. انه دائما يخاف ويرغم الخوف أن يستكين فى البعيد من نفسه ، ولكن الخوف لا يزول

أبدا • حين جاء نادر كان يتفرس فيه •• يريد أن يرى نفسه •• فهو يبتسم حينا ويعبس حينا ويتفرس •• لم يعبأ بالهمس فى البيوت فلم يكن الهمس ليرقى الى أذنيه •• حاول صالح أن يشير ولكنه زجره فى عنف فأمسك ، لوى الحديث الى المديح لى والاعلاء من تسأنى والاشادة بنقاء سمعتى وعراقة محتدى .. ان نامق كثير الحديث عن صالح .. يبدو أن صالح هذا ذكى يعرف كيف يرضيه ويعرف كيف يبدو صريحا كلما كانت الصراحة حبيبة الى نفس نامق . أريد أن أعرف هذا الصالح .. لقد جعلنى نامق أفكر فيه كثيرا •• كريمة رأته •• انهـا أيضـا بحديثها العابر جعلتنى أفكر فيه •• على أى حال كان هو الوحيد الذى استطاع أن يرفع الهمس الى أذن نامق ، وكان هو الوحيد الذى يستطيع أن يفعل ذلك فهو يعرف كيف يدور بالحديث بعد ذلك •

***

ـــ ألف مبروك يا سعادة الباشا •

ـــ بارك الله فيك يا صالح •

ـــ كم كنت أرجو أن تكون هذه التهنئة خالصة •

ـــ ولماذا لا تكون خالصة ؟

ـــ يهمسون •

ـــ اياك أن تذكر همسهم •• للجرأة حدود •

ــ ولكن سمعة الهانم وعراقة أصلها أخرست الألسنة الهامسة .

ــ فلم يكن هناك ما يدعو الى الحديث عنها .

ــ ألم تطلب منى أن أنقل كل شىء اليك ؟

ــ عليك أن تختار ما تنقله .

ــ فعلا على أن أختار ما أنقله .

ــ أهذا أنا الذى يتحدث .. لقد قلت لها اننى أخاف على نفسى ، وقد كنت محقا أن أخاف ..

★ ★ ★

يظن صالح نفسه صريحا .. أريد أن أراه ... وبعد هل أظل حبيسة هذا الاتفاق بينى وبين نامق ؟ . والى متى ؟ ..

ــ كريمة أهلا .. يومان لا أراك .

ــ منيرة كانت متعبة .

ــ بعد الشر ، مالها ؟

ــ أمراض الأطفال لا تنتهى .

ــ نادر الحمد لله .

ــ عينى عليه باردة .

ــ ماذا يقول الناس ؟

ــ وماذا يمكن أن يقولوا بعد فتاوى المشايخ والأطباء ؟

ــ هذا الموضوع انتهى اذن .

ــ وظهر موضوع آخر •

ــ خير ؟

ــ تزارين ولا تزورين •

ــ وماذا فى هذا ؟

ــ بعضهم يقول تكبر •

ــ والآخرون ؟

ــ يقولون أوامر •

ــ وما رأيك ؟

ــ فليقولوا ما يشاءون •

ــ أتتركهم يقولون •

ــ وأنت ما يهمك ؟

ــ الحقيقة يهمنى •

ــ كلامهم ؟

ــ لا ، ولكن هذا الحبس •

ــ أتسمينه حبسا ؟

ــ فماذا تسمينه أنت ؟

ــ انه يسمح لك بالخروج •

ــ بعلمه •

ــ كل الرجال كذلك •

ــ انه يسافر كثيرا •• الآن مثلا هو مسافر منذ أسبوع ولن يعود الا بعد أسبوع ، وأضطر أنا أن أنتظر مجيئه ،

والاذن بالخروج لا أحصل عليه الا بعد تقديم الأسـباب والحيثيات •

ــ تتكلمين مثل فتوح •

ــ كيف هو ؟

ــ بخير •• لقد أوصانى أن أطلب منك شيئا •

ــ خير ؟

ــ وظيفة وكيل مديرية الشرقية خالية •

ــ ويريد أن يكون وكيل المديرية ؟

ــ اذا أوصى به الباشا يكون •

ــ وتذهبين معه ؟

ــ انه مستقبله •

ــ أليست هناك مديرية قريبة ؟

ــ الجيزة •

ــ وتبقين بالقاهرة ؟

ــ أبقى طبعا •

ــ فلماذا لا يكون وكيل مديرية الجيزة ؟

ــ ليست خالية •

ــ ينقل وكيل مديرية الجيزة الى الشرقية •

ــ يا حبيبتى يا نازك •

ــ اياك أن تفكرى فى تركى •

ــ وهل أستطيع العيش بعيدة عنك ؟

ـــ غبت عنى يومين •

ـــ وسأغيب باكرا أيضا •

ـــ لماذا ؟

ـــ عندى ناس •

ـــ ناس •• من هم ؟

ـــ أخاف أن أذكرهم تزعلى •

ـــ فلماذا دعوتهم ؟

ـــ فتوح •• أنت تعرفين أنه صديق يسرى مختار زوج نديرة •

ـــ أنا لا أكره نديرة •

ـــ كذا ؟

ـــ أبدا •• ولماذا أكرهها ؟

ـــ نديرة يا ستى وزوجها وأختها خديجة وصالح عبد العال •

ـــ صالح عبد العال ؟

ـــ نعم ما الغرابة ؟ انه صديقهم جميعا •

ـــ كريمة •• اسمعى •

ـــ ماذا ؟

ـــ ما رأيك لو •• ؟

ـــ أياك •

ـــ لا شأن لك •

ـــ اياك •• أنا لا شأن لى ؟

ـــ لا شأن لك •

***

اذن فهو مهتم بخديجة •• منذ دخلنا لا يكلم الا خديجة •• طبعا قدم لى كل ما يستطيع من احترام واجلال ولكنه لم يحاول أن يتقرب منى أو يتحدث الى •• لقد لمحت فى عينيه ومضة خوف •• لا شك أنه يعرف أننى هنا بطريقة غير رسمية •• هذا الغبى •• أيظن أن هذه الزيارة ستخفى عن نامق ؟ •• فماذا يفعل لالا ألمظ أو ماذا يفعل لالا بشير ؟ •• انه سيعرف •• ولماذا لا يعرف ؟ •• كان لابد لى أن أحطم هذا السجن وانه من المستحيل أن يتحطم ان لم أقم بخطوة جريئة كهذه التى أقوم بها الآن •• ولكن أين هذا السحر الذى كنت أشيعه حين أدخل الى الحفلات ؟ •• لقد أصبح نوعا جديدا من الأجواء ، وهو جميل أيضا •• فيه احترام كبير واجلال •• أهو لى أم هو لزوجى ؟ •• التساؤل لا يحتاج الى اجابة • ولكن ما البأس ؟ ما الفرق بينى وبين زوجى ؟ •• ماذا سيفعل حين يعرف ؟

★ ★ ★

ـ ما رأيك فى اداره الوقف يا يسرى ؟

ـ أعتقد أن نامق باشا موفق •

ـ موفق ؟ ! اذن أنت لا تعرف شيئا •

ـ كيف ؟

ـ ان المستحقين يكادون يدوتون من الغيظ •

ـ ألا ينالون حقوقهم ؟

ـ لابد أن يعرفوا حقوقهم أولا حتى يعرفوا ان كانوا يناولونها أم لا •

ـ لاحظ الهانم يا يسرى •

ـ ألا ترانى أهمس ؟

★ ★ ★

ـ اننى سعيدة لأنى رأيتك يا نديرة •

ـ اننى أنا السعيدة يا نازك هانم ••• فأنا أسمع عنك كثيرا •

ـ لا تصدقى كل ما تسمعينه •

ـ اننى أصدق المتحدث المحايد •

ـ هل أنت متأكدة من حياده ؟

ـ الحديث دائما ينبىء عن حياد المتحدث أو تحيزه •

ـ ولعل هذا المتحدث لا يذكرنى بشر ؟

ـ ان هذه الأحاديث هى التى جعلتنى سعيدة بلقائك •

ـ أرجو أن أكون عند حسن ظنك •

ـ ان الطريقة التى قابلتنى بها وحدها تكفى لتدل على ذكائك وسعة أفقك ••

ـ وأنت هل أنت سعيدة مع يسرى ؟

ـ أيهمك حقا أن تعرفى ؟

ـ اننى أعتبرك مثل نادر ابنى •

فارق السن بيننا لا يسمح بهذا •

ـ أشكر لك هذه المجاملة •• ولكنى زوجة أبيك •• فأنت عندى مثل نادر •

ـ اننى أحب أن أكون كذلك •

ـ لقد هربت من الاجابة •

ـ بل نسيت السؤال •

ـ أعتقد أنك تذكرت السؤال ••

ـ أنت مصممة على معرفته ؟

ـ أصبحت الآن غير مصممة •

ـ عرفت الاجابة اذن ؟

ـ لو كنت سعيدة السعادة التى أتمناها ما تهربت •

★★★

ـ ألم أقل لك اننى أخشى على نفسى ؟

ـ هل تحققت خشيتك ؟

ـ بدأت تتحقق •

ــ لابد أن تتماسك •

ــ أنكسر •

ــ وان لم تتماسك تنكسر أيضا •

ــ ولكنى سأظل أحيا •

ــ الكل يحيا •

ــ أنت لا تدرين •

ــ مهما تكن حياتك الآن باهرة فى عينيك فهى لا تساوى أن تتكسر •

ــ ان بعدى عن هذه الحياة تحطيم •

ــ يخيل اليك •

ــ بل يخيل اليك أنت لأنك لا تعرفين •

ــ أرجو أن تظل كما أنت •

ــ ما رأيك لو تقدمت لخطبتك •

★ ★ ★

وعندما عاد نامق من سفره :

ــ نازك هانم أنت ممنوعة من الخروج تماما •

ــ سجن هو ؟

ــ لا مناقشة • ربى ابنكَ ولا خروج •

وطنت فى أذنها ربى ابنك •• آذن فهذا هو ما تريد ••• اذن سأربيه •••

— ١١ —

لم تعد تستطيع أن تخرج ، بل أصبحت اقامتها فى البيت اقامة دائمة لا يقطعها شىء الا الملالة •• أما هو فقد أصدر أمره واعتبره شيئا طبيعيا لا يحتاج الى مناقشة ، وظلت معاملته لها بعد ذلك كما هى لا تغير فيها • فان حاولت يوما أن تناقش هذا الأمر قطع الحديث فى حسم :

ـــ لا مناقشة فى هذا •

ثم يعود الى ما كان فيه من حديث • وتزداد هى غيظا وتوشك أن تنفجر ، ولكنه هو يتظاهر بأنه لا يلحظ من شأنها شأنا ويتحدث •• يتحدث فى كل شىء الا هذا الذى تريد هى أن تتحدث فيه لتفك الأمر الذى ألقى عليها • وقد حاولت بشتى طرق •• حاولت بكل ما وهبته من ذكاء الأنثى وجمالها ودلالها ، ولكنه كان صارما فى أمره لا يقبل عنه حولا أو منصرفا •

وفى هذه المحاولات منها مرت سنوات ثلاث فلم تجد السنون ولا الحيلة • وانما نتج عن هذه السنين وعن هذه الحيلة شىء آخر هو نادرة •• حملت فى هذه المرة حملا شرعيا لا شك فى شرعيته من الناحية الفقهية للشرع ، ولكنه حمل

غيرمشروع لأنها كانت قد كرهت نامقا كرها استقر في أعماق نفسها .

فهي ان تكن قد وهبت له نفسها في نادر هبة المحبـة او هبة المعجبة أو هبة المستهترة ، فانها وهبته نفسـها في نادرة هبة الزوجة التي لا تملك الا أن تهب نفسها وهي كارهة .. وكانت على هذا الكره تنتهز فرصة ميـله لها فتـلاطف وتتخاضع وتبدي له كل ما تستطيع امرأة فارهة الجمال متفجرة الأنوثة أن تبدى ، فكان يتقبل منها ما تبديه وكأنه حق طبيعي لا يستحق معه أن يفكر في مشاعر هذه المـرأة التي ارتبط مصيره بها ، فقد كان زواجه منها في أول أمره زواجا خائفا تغشيه الشكوك بل يحيط به الهلع ، فحين حطمت أوامره ألا تخرج الا باذن منه وجد نفسه مضطرا أن يمنعها من الخروج منعا مطلقا ولا يعبأ بما قد يقوله الناس . فلئن يقال عنه قاس لا يعرف الرحمة خير من أن يقال عنه مغفل لا يدرى ما يجرى وراء ظهره . كان لكل من نامق ونازك منطقه . وهما منطقان من شأنهما أن يتصادما ولا سبيل لهما أن يساير أحدهما الآخر .

كرهته ولم تستطع أن تظهر هذا الكره ، وقد كان هو في هوة مركزه لا يتصور أن امرأته تكرهه .

وكان لابد لهذا الكره أن يتفجر في مكان ما .. وقد تفجر .

عكفت على نادر تحيطه بكل نفسها فما كان لها الا نادر ، وقد أرادت عن عمد أن يحس أن الحياة كلها هى أمه ولا حياه له الا هى •• عن عمد أحاطت به لتفصله عن أبيه ، وعن فراغ أحاطت به لأنها أصبحت ولا شاغل لها الا هو ، حتى أخته لم تنل من رعايتها الا أهون نصيب ، فان نادرة لن تصبح ناظرة للوقف ، ونادر سيصبح ناظرا للوقف ، فنادر هو كل شىء فى حياتها •• أو هو حياتها وهو مستقبلها •

تمر سنتان مثلما مرت السنوات الثلاث .ويصبح نادر فى السن التى لابد معها أن يبدأ تعليمه •

ويصدر نامق أمره الى صالح أن يتولى الاشراف على تعليم نادر •

وتحس نازك أن شخصا آخر سيشركها فى نادر ولكنها لا تستطيع أن تصنع شيئا ، الا أنها عزمت فى دخيلة نفسها أن تلقى هذا الانسان الذى سيشاركها ابنها مهما يكن الثمن •• ولماذا يكون هناك ثمن ؟ •• انها ستدبر الأمر •• انها فرصة رائعة لتلقاه •• وستلقاه •

★ ★ ★

كان ضمن موظفى الوقف رئيس حسابات كان يعمل مدرسا للحساب بمدارس الفرير ثم أحيل الى المعاش ، وكان صالح يثق فيه فعهد اليه أن يكون مدرس الحساب لنادر •

ـ هل هناك ما يمنع أن أحضر ابنى يأخذ معه الدرس ويتعرف به ؟

ـ اسأل الباشا .

* * *

ـ لقد عهدت للأستاذ ميخائيل أن يدرس الحساب لنادر بك .

ـ فكرة لا بأس بها ، ولا تبخل عليه فى المكافأة .

ـ يريد أن يحضر ابنه ليأخذ الدرس مع نادر بك ويتعرف به .

ـ وما البأس ؟ ان نادرا لا يكاد يعرف الا أقاربه .

★ ★ ★

ويجتمع شمل نادر ونعيم .

ويختار ميخائيل باشراف من صالح المدرسين الآخرين .

وتمضى الدروس فى طريقها . كان نامق يريد لابنه أن يكون مثقفا لا متعلما ، فكان كثيرا ما يسأل صالحا عن سير الدروس ، وكان من الطبيعى أن يقول المدرسون جميعا ان نادر نابغة عصره ، فما كان يمكن لابن ناظر الوقف الا أن يكون نابغة عصره .

* ★ *

تطلب نازك تليفون صالح فى القصر ، وما تكاد تقول له اسمها حتى يتولاه الهلع :

ـ لحظه يا هانم من فضلك •

ويهرع الى الأبواب يسألها ان كانت تنصت ، ويدور بالحجرة يتلمس الجدران ، حتى اذا أصاب بعض الاطمئنان :

ـ تحت أمرك يا هانم •

ـ أريد أن أسأل عن سير الدروس مع نادر •

ـ عظيمة يا أفندم •• عظيمة ، الكراريس دائما عندى وأراجع عليها يوميا •

ـ أنا لا يكفينى هذا •• أريد أن أرى كراريسه •

ـ أرسلها يا أفندم •

ـ بل أريد أن أراك وهى معك لأناقشك فى شأنها •

ـ يا أفندم •

ـ هذا خير لك •

ـ أفندم ؟

ـ ألم تسمع ؟

ـ بل سمعت تماما •

ـ اذن ؟

ـ أنا تحت أمرك •

ـ وخل خديجة تزورنى •• انى أحب أن أراها •

ـ أمرك يا أفندم •

ـ حين أجد الوقت مناسبا سأطلبك وأحدد مكان الزيارة وموعدها •

ـــ داخل السراى يا أفندم ؟

ـــ أنت تعرف أننى لا أخرج .

ـــ أتقدرين خطورة هذا يا أفندم ؟

ـــ مستقبل ابنى أهم من أى خطورة .

ـــ أليس هناك طريقة أخرى ؟

ـــ لو كانت هناك ما لجأت الى هذه .

ـــ أمرك يا أفندم .

لقد أوحى لها نامق دون أن يدرى بشخص تستطيع أن تلقاه غير هذه الوجوه التى تعودت أن تزورها ، والتى سئمتها ولم تعد تطيق أن تنظر اليها ... وقد هيأت الحجه أمام صالح ولا يهمها ان كان سيصدق هذه الحجة فى نفسه أم سيرفضها .. لقد أحست أنها ان لم تتصل بغير هؤلاء اللواتى فرضن عليها ستجن ، ولم تكن تحب أن تجن .

★ ★ ★

ـــ فى كل يوم تقول هذا .

ـــ فى كل يوم أتحول من الشخص الذى تمنيت أن أكونه الى شخص آخر كنت دائما أخشى أن أكونه .

ـــ لماذا لا تقدم استقالتك ؟

ـــ ارتبط اسمى بالوقف .

ـــ تستطيع أن تعمل فى أى مكان آخر .

ـ نامق لن يسمح لى أن أعمل ونفوذه ضخم •
ـ لن تموت من الجوع •
ـ لم أستطع أن أفعل هذا وأنا شاب فى أول الطريق •
كيف أستطيع الآن أن أفعله بعد أصبحت فى هذه المكانة من الموقف ؟
ـ لعل هذه المكانة تهيىء لك مكانا تجد نفسك فيه مرتاح الضمير •
ـ بل ان هذه المكانة ستقفل الأبواب فى وجهى •
ـ لن تموت من الجوع •
ـ وأولادى ؟ •• ما مصير عزة وأيمن ؟ •
ـ لن تموت من الجوع •
ـ أخاف من الخوف ••• القلق على مصيرنا يرعبنى •
ـ اذن لا تشك •
ـ اسمحى لى أن أشكو على الأقل •
ـ ان نفسى تتقطع من شكواك •
ـ وأنا نفسى تتمزق مما أصنعه •
ـ النفاق •
ـ النفاق أصبح طبيعة الآن •
ـ أهناك ما هو أدهى ؟
ـ لماذا لا تزورين نازك هانم •
ـ تشكو ولا تفصح •

ـ خديجة ، اننى أشكو اليك لأننى لا أستطيع أن أشكو الا اليك •• أما أن أفصح فهذا لا يهم ••• لا يهمك مطلقا أن تعرفى التفاصيل ••

أتعــرفين صورة دوريان جراى •• اننى أراها أمامى دائما • أرى نفسى دائما تزداد قبحا وقتامة •• أصبحت نفسى كريهة أمام نفسى ، وأجد نفسى أنزلق ، وأعرف أننى أستطيع أن أتوقف ولكنى أسير وأنزلق • وأعرف أننا لن نموت من الجوع ولكننى لا أملك الشجاعة •• الشىء الوحيد الذى أستطيعه هو أن أشكو اليك •

ـ هذه الشكوى المبهمة المليئة بالأحاجى والغموض •

ـ لعلنى أرتاح •

ـ وهل أنت مرتاح الآن ؟

ـ لماذا لا تزورين نازك هانم •

— ١٢ —

وزارت خديجة نازك وصحبت معها طفليها ، ولعب الطفلان مع نادرة • واستأذنت خديجة أن تصحب الأطفال وتخرج بهم فسمحت نازك بذلك ، وخرج الأطفال جميعا صحبة ومعهم نعيم الذى أصبح ملازما لنادر •

وجالت خديجة بصحبتها فى مجالى القاهرة ، ثم ذهبت بهم جميعا الى بيت أمها •

وفرحت الهام بهذه الزيارة غير المتوقعة فرحا أخذ عليها مجامع نفسها ، فقد كانت تريد أن تتوسل بأى طريقة تصلها ببيت نامق ، ولم تكن دعوتها لصالح وقبولها أن يتزوج خديجة الا وسيلة ترجوها ليتم هذا الاتصال •

كانت تريد نادرا بالذات أن يحبهـا •• كانت تريده لأنه الشخص الوحيد الذى يمكن أن يتصل بها بلا حرج • فأخته نديرة صلة لا بأس بها ، وهو لا يعنيه فى شىء أن الهام كانت زوجة أبيه ، بل هو حتى لا يفهم هذه الصلات ولا يهتم بها •

سارعت الهام الى سائق سيارتها وأمرته أن يسـارع فيشترى بندقية رش ، ووعدته بمكافأة أن هو لم يتأخر •

وسرعان ما عاد السائق ، وأهدت الهام البندقية لنادر .
ــ كلما جئتنى ستجد هدية .
وأوشك نادر أن يجن من الفرح .

لقد استطاعت هذه الزيارة أن تمكن من حب نادر لالهام ، فصار يطالب أمه بعدها أن يزورها . ولم تكن تمانع فى ذلك فهى تستدعى خديجة وتعهد اليها بنادر ونادرة . ولا تنسى نعيما ، ويذهبون جميعا الى بيت الهام . وفى كل مرة كان نادر يفوز بهدية ، وفى كل مرة يمرح الأطفال مرحا لا رقابة عليه ، نادر مع نعيم ، ونعيم يحاول أن يداعب نادرة ، أما طفلا خديجة عزة وأيمن فهما وحدهما اللذان لا يشعران بشىء . فقد كانا أصغر من أن يفرحا أو يتمتعا .

★ ★ ★

ــ تحت أمرك يا هانم .
ــ فى الساعة الثالثة اليوم .
ــ أنا يا أفندم أنصرف فى الساعة الثانية .
ــ لا تخف ، لقد أخذت خديجة الأولاد وستتغدى عند أمها .
ــ أعرف ذلك يا أفندم .
ــ اذن ؟
ــ ماذا يقول موظفو الوقف ؟

ـــ انصرف فى موعدك وعد الى الحرملك •

ـــ والسائق يا أفندم •

ـــ اذن تشاغل بالعمل حتى التالتة واصعد الى الحرملك •

ـــ ألا يرانى الخدم ؟

ـــ انك ستذهب الى الجناح الصيفى •

ـــ أمرك •

ـــ وهات الكراريس •

ـــ أمرك •

هل تريد الكراريس حقيقة ؟ •• أهذا موعد يوحى بكراريس ؟ أنا من جهتى لا أمانع ولكن •• أى لكن ؟ • هل أملك شيئا فى نفسى ؟ •• حتى هذا لا أملك فيه شيئا •• لقد بعت نفسى جميعا لهذا المكان •• لعلنى يوسف وهى امرأة العزيز ••• ولكنى لست نبيا •• وهى أيضا لا تدعونى لجمال فى خارق . حبيسة ولا تملك فى يدها الا أنا • لن أستطيع أن أصنع ما صنعه يوسف •• انه بما فعل أصبح نبيا وأنا لا أنوى أن أكون نبيا •• انها فتنة طاغية •• ولكن كيف أملك الجرأة •• انها تصغر الباشا بسنوات وسنوات • أنا أقاربها فى السن •• ولكن كيف أملك الجرأة ؟ انها هى التى ستهب لى الجرأة •• بشبابها وشبابى •• أيستطيع شبابى أن يتغلب على هذه الرهبة ؟ •• انها زوجة الباشا •• أأخونه ؟ •••اذا كانت هى تخونه ألا أخونه أنا ؟ وهل لى خيار ؟ • أما أن أخونه أو لا

أكون •• وهل لى الخيار ؟ •• وزوجتى ؟ •• أخونها •• اننى أخونها • اذا لم أخنها ••• ان مصيرى ومصيرها ومصير أولادنا الطريق العام اذا أنا لم أخنها • هل أستطيع أن أتوقف ؟ هل أريد أن أتوقف •• هل أملك الجرأة على التوقف ؟ •• وان ملكتها هل أتوقف ؟ •• يبدو أننى أصبحت أستطيب ما أصنع •• على أى حال لولا خطورة ما أنا مقدم عليه لكان أمرا لا بأس به فى حد ذاته ••• ماذا يقول أبى ان عرف ؟ •• بل ماذا يقول اذا عرف كل ما أقوم به من غير ذلك ؟ •• ماذا يعرف الحقيقة ؟ بحسبه أنه سعيد بمنصبى • ان الحقيقة التى يعرفها الانسان هى الحقيقة الوحيدة ، وليس هناك بالنسبة اليه حقيقة أخرى • والحقيقة التى يعرفها أبى أننى رجل محترم صاحب حظوة عظيمة لدى نامق باشا ، وهذه الحقيقة كفيلة بأن تجعله سعيدا ، وأنه لسعيد • كل الحقائق الأخرى لا تهمه فهو لا يعرفها ، وان حاول أحد أن يطلعه عليها يكون مجرما يريد أن يحرمه السعادة التى يعيش فيها •

***

وبعد أن ترك نازك راح ينزل السلم فى خطــوات حالمة وابتسامة مهمومة تترقرق على شفتيه • وفجأة انتبه الى الكراريس فى يده وأصبحت الابتسامة ساخرة وهو يتمتم فى صوت يوشك أن يكون مسموعا :

ـ أظن لا داعى للكراريس بعد ذلك .

— ١٣ —

— أنا فى الواقع لا أستحق فى الوقف •

— ولكن زوجتك تستحق •

— هذه مسألة جانبية •

— أنا لا أراها جانبية بالنسبة اليك •

— المهم أنت •

— أنا ؟

— أنت شوكت فهمى بك •

— ما لى ؟

— أنت لا تنال حقك •

— كيف عرفت ؟

— ألا تنال ضعفى ما تناله أختك الهام هانم ؟

— نعم •

— الهام هانم حماتى •

— أعرف ذلك •

ـــ وأنا أعرف ما تناله •

ـــ ولكن كيف عرفت أنه أقل من حقنا ؟

ـــ هذا شأنى •

ـــ انك لم تستدعنى اليوم لتقول لى هذا شأنى •

ـــ الطريقة التى عرفت بها لا تهمك •

ـــ بل لابد أن أكون واثقا •

ـــ كن واثقا •

ـــ كن واثقا •

ـــ كيف عرفت ؟

ـــ ان لى عيونا فى الوقف •

ـــ من هم ؟

ـــ لقد أقسمت ألا أبوح بأسمائهم •

ـــ حسنا •• ولكن النصيب الذى نحصل عليه الآن هو كما كنا نحصل عليه دائما •

ـــ وهذا وحده دليل كاف •

ـــ كيف ؟

ـــ هل ثمن المحاصيل هو هو لم يتغير ؟

ـــ آه •• فعلا •

ـــ لابد أن تنالوا حقوقكم •

ـــ نرفع دعوى •

ـــ لا تنس أن له الحقوق العشرة •

ـ فعلا من ضمنها الاخراج والادخال •

ـ يخرج سعادتك ويدخل نازك هانم •

ـ يعملها •

ـ فماذا ترانا نفعل ؟

ـ لابد أن نفعل شيئا ان لم يكن من أجلى فمن أجل ابنى حسام •

ـ نقتله ؟

ـ المسألة ليست بهذه السهولة •

ـ كيف ؟

ـ نادر يصبح ناظر الوقف •

ـ نادر ما زال صغيرا •

ـ سنة والأخرى وتصدر فتوى أنه ما دام يستطيع أن يدير أمواله فهو يستطيع أن يدير الوقف •

ـ فى هذه السنة نستطيع نحن أن ندبر أمورنا •

ـ ولكن فكرة القتل نفسها خطيرة •

ـ لدى أصدقاء كانوا يعملون بالحرس واصابتهم لا تخيب •

ـ أتعرف أحدا من هؤلاء ؟ •

ـ أعرف الكثيرين منهم •

ـ اذن فعلينا أن ننتظر قليلا •

ـ ننتظر ؟

ـ طبعا ...

ـ أنت الذى تقول ننتظر ؟

ـ وما الغرابة فى هذا ؟

ـ أناأعرف حاجتك للنقود دائما .

ـ مطالب الحياة كثيرة .

ـ مطالب الحياة أم مطالب سميحة ؟

ـ هس .

ـ مم تخاف ؟ .. لقد كنا نتكلم فى جريمة قتل ولم يتولك الذعر الذى تولاك من ذكر اسم ...

ـ هس .

ـ هس .. هس .

ـ أنسيت أين نحن ؟

ـ فى بيت بنت أختى .

ـ زوجتى .

ـ أتخشى أن تسمعنى وأنا أذكر .. هس .. ولا تخشى أن تسمعنا ونحن نتآمر على قتل أبيها ؟

ـ قد تغتفر قتل أبيها ولكن لا تغتفر ..

ـ هس ؟ !

ـ طبعا .

ـ ألا تعرف ؟

ـ تحس .

ــ حسنا ، وماذا تريدنا أن ننتظر ؟

ــ ننتظر حتى تخلق عداوة بين نامق باشا وشخص آخر فلا تلحق التهمة بنا •

وصمت شوكت وحملق •

ــ لم أكن أتصور أنك خطير الى هذا المدى •

ــ المسألة لا تستحق هذه المبالغة •

ــ وكيف ستخلق هذه الخصومة ؟

ــ هذا شأنى •

ــ مع موظفى الوقف ؟

ــ مثلا •

ــ صالح •

ــ غير صالح بالمرة •

ــ نعم صالح مرتبط بالباشا •

ــ جدا •

ــ مع ميخائيل ؟

ــ انه أخاف من خياله •

ــ اذن فمع من ؟

ــ هذا شأنى •

ـــ هديتك اليوم ستضعها فى أصغر جيب لك •

ـــ صحيح •• ما هى ؟

ـــ خذ •

ـــ مفتاح •• أين صندوقه ؟

ـــ انه صندوق كبير لا أستطيع ادخاله الى البيت •

ـــ حقا ؟

ـــ تعال •

وسحبت يده الى الشباك ، وفغر فاه غير مصدق •

ـــ هذه السيارة ؟

ـــ هذه السيارة •

ـــ لى أنا ؟

ـــ انزل ولف بها لفة وعد لتقول لى رأيك فيها •

وانتهب السلم انتهابا ، وأمسكت الهام بسماعة التليفون وأدارت رقما :

ـــ سميحة أنا الهام • ما هذا ؟ لى زمان لم أرك • أين أنت غدا ؟ •• لا بأس •• نتغدى معا •

كانت الاشاعات قد بلغت آذانها عن صلتها بزوج ابنتها ولكنها لم تهتم بهذا ؛ ووطدت علاقتها بها منذ جاءت اليها فى الزياره الأولى . ولم تؤثر هده الاشاعات على هذه العلاقة فسميحة تستطيع أن تجتذب انتباه سيدة فى ذكاء الهام ••• والاهم كانت تحس بدافع خفى لا تدرى مأتاه أنها ستنتفع يوما بسميحه ••• واليوم يتحقق حدسها . ويعـود نادر ويقبل الهاما •

ـ ان أبى لم يفكر أن يقدم لى مثل هذه الهدية •

ـ لعله يخشى عليك •

ـ وأنت لا تخشين على ؟

ـ ولهذا لن أجعلك تخرج بها وحدك •

ـ ماذا ؟

ـ ستتركها هنا اليوم وتأتى بعد غد لأكون قد وجدت من يشاركك ركوبها •

ـ لا أريد سائقا •

ـ لو كنت أنوى أن أحضر لك سـائقا ما أحضرت لك سيارة •

ـ برافو عليك •

ـ أن السيارة التى تسير بسائق موجودة عندك دائما •

ـ لا شىء يخفى عليك أبدا •

ـ وبعد غد ستعرف الى أى حد أستطيع أن أعرف الأشياء .

* ★ *

وحين جاءت سميحة للغداء استطاعت الهام أن ترتب معها كل شيء .

* ★ *

وحين جاء نادر فى موعده قدمت اليه الهام الشخص الذى سيشاركه ركوب السيارة :

ـ الآنسة منال .

غضة كالغصن الرطيب فى عينيها جذوة وخبرة : وفى شفتيها دعوة وابتسامة .

ولم تنس الهام أن تقول :

ـ وهذا مفتاح بيت استأجرته لكما اذا تعبتما من اللف بالسيارة ، تستطيعان دائما أن تستريحا فيه .

* ★ *

ـ ان أمك تلعب لعبة خطرة .

ـ أعرف .

ـ أترضين عن هذا ؟

ـ انها أمى .

ـــ فان لم تكن أمك ؟

ـــ فهى امرأة تنتقم •

ـــ فى شخص الابن ؟

ـــ الانتقام لا يعرف أين يقع •

ـــ انه الشخص الذى سيصبح ناظر الوقف بعد أبيه •

ـــ ولكنه سيظل ابن أبيه الى أن يصبح ناظرا للوقف •

ـــ قد يدمر هذا الوقف جميعه •

ـــ ولكنه سيظل محبا لأمى •

ـــ كانت تستطيع أن تجعل الأمر أكثر طبيعية •

ـــ دعوة وحفلة وتعرفه ويختار •

ـــ مثلا •

ـــ لفة طويلة •

ـــ خير من اللفة القصيرة •

ـــ ترين هذا ؟

ـــ لعلها خشيت أن يمنعه أبوه من حضور حفلاتها •

ـــ والآن ؟

ـــ الأب لا يعرف على الأقل •

ـــ ولكنى أنا أعرف •

ـــ هل صحا ضميرك الآن ؟

ـــ انه لم يمت تماما •

ـــ ولكنه يستطيع أن ينام حين يريد •

ـ لعله الآن لا يريد أن ينام .

ـ بل انك تشعر أنك لم تقدم نصيحة للباشا من زمن بعيد .

ـ ربما .

ـ وتريد أن توهم نفسك أنك تؤدى واجبك .

ـ ربما أيضا .

ـ على حساب أمى .

ـ انها هى التى وضعت نفسها فى هذا المكان .

ـ تستطيع أن تفعل شيئا أحسن من هذا .

ـ أقترحى .

ـ قدم النصيحة ولا تذكر اسم أمى .

ـ نصيحة لا بأس بها .

ـ أليس كذلك ؟

* ★ *

ـ وماذا ترى ؟

ـ الرأى دائما لسعادتك .

ـ المسألة خطيرة .

ـ ليست كما تتصور ، انه الشباب يأخذ مجراه .

ـ أنا عندى الحل .

ـ هكذا سريعا ؟

ــ لقد كنت أفكر منذ زمن بعيد أن أرسله الى الخارج ليتعلم •

ــ فكرة لا بأس بها •

ــ أعجل بها •

ــ ولكن السفر للخارج لا يمنعه أن يســير فى نفس الطريق !•

ــ هذا اذا كان وحده •

ــ ومن سيكون معه ؟

ــ أنت •

ــ أنا !

ــ أنت •

ــ وأولادى وزوجتى ؟

ــ فى رعايتى •

ــ وهل توافق الهانم على سفره ؟

ــ اننى آمر ولا يعنينى موافقة أحد •

ــ أفكر •

ــ بل تسافر •

ــوأطرق صالح ، ولم يكن محتاجا أن يقول ولم يكن نامق ينتظر منه قولا •• ولكنه مع ذلك أحب أن يشفع أمره :

ــ أنت تعرف ثقتى فيك •

ــ أنا تحت أمرك •

ـ وأنت تعرف أن صحتى ساءت فى هذه الأيام الأخيرة ٠

ـ ليس الى الدرجة التى تتصورها سعادتك ٠

ـ أنا لست جاهلا ، وأعرف تماما الأمراض التى أتعرض لهـا ٠

ـ بل أعتقد أن سعادتك تتخوف أكثر من اللازم ٠

ـ المهم أننى أعهد لك بنادر ٠٠ فى الخارج وفى الداخل اذا حصل شىء ٠

ـ ربنا يطيل عمر سعادتك ٠

ـ لم أعد صغيرا ٠

ـ ربنا يطيل عمر سعادتك ٠

ـ أنا أعرف مشاعرك جيدا ٠

ـ أرجو ذلك ٠

ـ نادر أمانه فى عنقك ٠

ـ ما أثقل الأمانة ٠٠ هل أعرف كيف أرعى الأمانة ٠٠ اننى أخون هذا الرجل ٠٠ ليس أنا الذى أخونه ٠٠ انها زوجته تخونه معى ولبس أنا الذى يخونه ٠

* ★ *

ـ أريد أن ألقاك فى الحال ٠

وراحت تخلع ملابسها فى عنف حتى لتوشك أن تمزقها ٠٠

وتروح وتجيء فى الحجرة كنمرة لا يستقر لها قرار من حبس تعانيه :

ــ نادر وانت مرة واحدة ؟

ــ اهدئى ..

ــ كيف ؟

ــ لابد أن تهدئى .

ــ اخلع ملابسك .

ــ فقط اهدئى .

ــ أريد أن أتشفى فيه .. أريد أن أنتقم منه .

ــ لقد كنت تنتقمين منه قبل أن يأمر بسفرنا .

ــ اليوم الأسباب أقوى ، اخلع ملابسك .

* ★ *

ــ ماذا سأفعل ؟

ــ نادر لابد أن يتعلم .

ــ انه يريد أن يحرمنى منه .

ــ نادر كان مرتبطا بك أكثر مما يجب .

ــ أننى أمه .

ــ ولكنك نسيت أن له أبا .

ــ ان أباه نسى أننى انسانة .

ــ ألم تكن له أسباب ؟



اخلع ملابسك .. أريد أن أتشفى فيه .. أريد أن أنتقم منه

ـ ليس هناك سبب يحرم انسانة من حريتها .

ـ ومع ذلك استطعت أن تمارسى حريتك .

ـ لقد أرغمنى على ذلك .

ـ ترى ..

ـ أكمل .

ـ لا داعى .

ـ اننى أعرف بقية الجملة .

ـ فلماذا تريديننى أن أكملها ؟

ـ لأتأكد .

ـ قوليها اذن .

ـ تريد أن تسأل لو كنت حرة هل أختارك أم لا ؟

ـ هذا هو السؤال . فما الاجابة ؟

ـ لا أعرف .

ـ أشكرك .

ـ أعجبتك الاجابة .

ـ لأنها صادقة .

ـ والآن ماذا أفعل ؟

ـ انتظرى .

ـ سنوات .

ـ لا حيلة لنا الا الانتظار .

ـ خديجة .

ـ ما لها ؟

ـ ستسافر معك .

ـ لا أظن .

ـ هو الذى أمر بهذا .

ـ والأولاد صغار .

ـ بل هو يريدك أن تتفرغ لنادر .

ـ ربما .

ـ أتعرف نادر ؟

ـ ليس الى الدرجة التى كنت أرجوها .

ـ هو فى هذه الأيام لا يترك الهام .

ـ يجد عندها ما يسره .

ـ وأنا لا أمنعه .

ـ لأنك تريدين منه أن يحبك ولا يحب أحدا مثلك .

ـ ذكاؤك فوق مستوى الشبهات .

ـ هل ينفع مع نادر ؟

ـ اكتب لى .

ـ لا أستطيع .

ـ اكتب لكريمة عن أخبارك وهى ستطلعنى على الخطابات .

* * *

حين وصلت كريمة مع ابنتها منيرة الى القصر صعدتا الى الحريم ، ولكن نادر لقيهما فى الطريق فقد كان يأخذ سمته الى الباب الخارجى • حلوة هذه الفتاة • لا عيب بها الا أنها لا تترك أمها أبداً • أخاف أن أحادثها فتطلق أمها عنى الأقاويل • وأنا لا أريد لهذه الأقاويل أن تنطلق •

ـ أمسكت كريمة بذراع ابنتها وأوشكت أن تقرصها :

ـ سلمى وابتسمى •

ـ يا لأحلامك يا أمى •• انه طائر لا يهدأ له جناح •• طائر لا يستقر به حال •• انه لا يرانى •• لا يعرفنى •• •• لا ينظر الى •• لو نظر لرأى فى عينى الاعجاب به وأكاد أقول الحب له •• ولكن أى شأن له بى ؟ •• اننى لا أمثل فى خاطره أى فكرة • ان عينيه تعبرانني كأنما لا يرانى •

ـ أهلا تنت كريمة •• أهلا منيرة •• من زمان لم أركما •

ـ أنت مشغول الآن يا نادر •

ـ عنك أنت يا تنت كريمة لا أقدر أن أنشغل •

ـ فاسأل عنا يا أخى •

ـ اسمعى : أنا مسافر لندن وليس من المعقول أن أسافر قبل أن أشوفك أنت ومنيرة •

ـ عظيم ••• العشاء عندنا بعد باكر •

ـ عظيم : ومن المدعوون ؟

ـ عليك أنت أن تختار •

ـ أولا تنت الهام •

ـ أمرك •

ـ وطبعا اخوتى •

ـ طبعا •

ـ ونعبم ؟

ـ ونعيم •

ـ وطبعا منيرة •

وتبالغ كريمة فى الضحك ، وتضحك منيرة فى سعادة •

ـ وبعد ذلك اختارى أنت من تشائين •

ـ أفكرك أم لست فى حاجة الى التفكير ؟

ـ لا يمكن أن أنسى •

ويتجه نادر الى السلم ، وتتجه كريمة ومنيرة الى جناح مازك • وحين تستقر بها المقام فى الغرفة الملحقة لغرفة النوم :

ـ أين الهانم يا لالا ألماظ ؟

ـ لا أدرى •

ـ لا تدرى ؟

ـ والله أنا لا أدرى ولا أحد يدرى •

ـ هل جننت ؟

ـ وماله ؟ لقد بلغت السن التى يجب فيها أن أجن •

ـ يا رجل اعقل وقل لنا أين الهانم •

ـ أصبحت لها عادة غريبة •

ـ عارفاها •

ـ عارفاها ؟

ـ لقد قلتها لنا عشرين مرة فى السنوات الأخيرة •

ـ اذن فأنت عارفاها ؟

ـ تحب أن تنام أحيانا فىالجناح الشتوى والوقت صيف ،

ـ أنت عارفاها •• أترين هذا الهواء الذى يرد الروح ؟ الجناح الشتوى الآن فرن ولكنها تذهب الى هناك فجأة ولا نعرف متى تذهب ، ولكننا نحس بها فقط وهى عائدة •

ـ أليست حرة ؟

ـ وهل قلت شيئا ؟

ـ أنت دائما تتعجب •

ـ كان لالا بشير الله يرحمه يتعجب معى أيضا •

ـ كم عمره حين مات ؟

ـ لا أعرف •• انما هو أصغر منى •

ـ وأنت كم عمرك ؟

ـ لا أعرف •• ولكنه قبل أن يموت كان يقول لى ان عندى أكثر من ثمانين سنة •

ـ اقتربنا من الوصول • متى مات ؟

ـ كان يلاعب نادر بك بالعجلة ويقلب له عينيه ، ونادر بك يضحك ولالا بشير فرحان الدنيا لا تسعه • ثم نادى

الأستاذ ميخائيل نادر بك للدرس وصعد لالا بشير الى حجرته ولم يغادرها بعد ذلك •

ــ يعنى من حوالى اثنتى عشرة سنة •

ــ مثلا ؟

ــ لالا ألماظ أنت تقترب من المائة •

ــ وماله ؟ ••

ــ أخيرا نازك هانم •

ــ آهلا كريمة ، أهلا منيرة •

ــ أهلا بك يا تنت •

ــ ماذا بك ؟

ــ ألا تعرفين ؟

ــ كلها سنة أو سنتان ويعود •

ــ أنت لا تعرفين معنى سفره بالنسبة الى •

ــ بل أعرفه تماما •

ــ لا أحد يعرف •

ــ حتى ولا أنا ؟

ــ ولا أنت •

ــ لقد دعوناه على العشاء •

وصمتت نازك فترة ثم قالت فجأة :

ــ عند عودته •

وصمتت مرة أخرى ثم عادت تقول :

— لابد أن يفعل ما أريد •

وفهمت كريمة ولكنها أرادت أن تبدو وكأنها لم تفهم :

— وما الذى تريدينه ؟

— الذى تريدينه •

— وهل أنت متأكدة من قدرتك ؟

— أنت تعرفين أننى متأكدة •

ونظرت كلتاهما الى منيرة •• يخيل الى أننى أعرف ماذا تريد هاتان السيدتان •• ولعلنى أيضا أريد ، ولكن ليس هكذا يتم ما أريد •• حذار أن تفكرا فى أمرى كأننى غير موجودة •• اننى موجودة ولا أحب أن ينكر أحد وجودى •• اننى موجودة دائما •

* ★ *

— لماذا لم ألحظ منيرة الا اليوم ؟ •• قبل سفرى بأيام •• انها جميلة •• كنت أستطيع أن أخرج معها فى السيارة ••• خسارة فات الوقت •

— لماذا ينظر الى هكذا ؟ •• ماذا به ؟ •• ألست أنا منيرة التى يعرفها منذ نحن أطفال ••

— ١٥ —

فى لندن انفرد صالح بنادر ، وبدأ فأدرج اسـمه فى مدرسة نظامية ، واتفق مع مدرسين له فى اللغات الأخرى غير الفرنسية ، فقد كانت الأوامر من الباشا تقضى بأن يعود نادر من انجلترا شخصا مثقفا .

وبدأت الدراسة ، ووجد نادر نفسه لأول مرة مثله مثل التلاميذ الآخرين ينطبق عليه ما ينطبق عليهم من أوامر ، وضاق بهذه الحياة الجديدة وأراد أن يتمرد ، ولكن وطأة صالح عليه كانت شديدة ، ولولا وجود نعيم معه لأصبحت حياته قتامة لا يمكن احتمالها .

واضطر نادر أن ينتظم فى الدراسة ، وأن يذهب الى المدرسة فى مواقيتها ، وأن يتلقى دروسه فى البيت فى انتظام . وكان صالح قد حدد مواعيد للترويح عن نادر فكان يصحبه هو ونعيم الى مسارح لندن مرتئيا أن فى هذا الترويح نوعا من الثقافة أيضا . ولم يكن نادر غبيا فقد استطاع أن يستفيد من المدرسة ومن الدروس ، واستطاع أن يتقن الفرنسية التى

كان يعرفها اتقانا تاما الى جانب الانجليزية ، كما استطاع أن يتكلم الابطالية أيضا •

وكانت خطابات صالح الى الباشا تطمئنه ؛ وكان الباشا سعيدا بهذه الأنباء •

ولم ينس صالح أن يرسل خطابات منتظمة الى كريمة ، لتبلغ نازك عن كل صغيرة وكبيرة فى حياة نادر وحياته هو أيضا •

وكانت الأنباء التى تصله من زوجته تطمئنه أن الباشا وفى بوعده ، فهو يرعى أسرته رعاية كاملة ، ولكنه مع ذلك مشوق الى زوجته والى هذه الأحاديث التى كانت تجرى بينهما والتى كان يجد فيها راحته ، فقد كانت هذه الأحاديث هى الأنة الوحيدة التى يستطيع أن يطلقا فى غير خوف ولا قلق •

وكان مشوقا الى ابنه والى ابنته ، ولم يكن يجد أحدا يستطيع أن يقول له انه مشوق الى بيته •

عاد الى أصدقائه القدامى وكان يقضى معهم الأوقات التى يقضيها نادر فى الدراسة ، ولكن الفراغ مع ذلك كان يحيط به من كل جانب •

ومرت الأيام ، وكانت توافيهـم الاجـازات الدراسية فيهيىء صالح لثلاثتهم أماكن مختلفـة يقضـون فيها أيام الاجازة •

ولكن نادر كان يحس دائما أنه فى سجن ، وأن القيد حوله جميعا .

وأحس نعيم ما يختلج فى نفس نادر :

ـ وبعد ؟

ـ انها أوامر أبى .

ـ ومن ينفذها ؟

ـ صالح .

ـ وهل تعتقد أننى أجهل هذه الاجابة .

ـ اذن فماذا تريد أن تقول ؟

★ ★ ★

ـ صالح بك .

ـ نعم .

ـ بعد أيام ستكون اجازة رأس السنة . وقد أعددت لك برنامجا رائعا .

ـ بل أريد أن أقضيها وحدى .

ـ وحدك ؟

ـ أنا ونعيم .

ـ وأنا ؟

ـ تستطيع أن تقضيها وحدك أنت أيضا .

ـ وحدى ؟

ـــ تستمتع بها •

ـــ ومن أدراك أننى لا أستمتع باجازتى معك ؟

ـــ انك معى تعمل ، وانى أشفق عليك من العمل الدائم •

ـــ ولكننى أستمتع بصحبتك •

ـــ وأنا أيضا ، الا أننى أريد أن أحس بحريتى •

ـــ وهل أمنعك عن شىء ؟

ـــ عن كل شىء •

ـــ لا تنس أننى ••

ـــ أعرف أنك تنفذ أوامر أبى •

ـــ فماذا تريد اذن ؟

ـــ أن تنسى هذه الأوامر على الأقل فى أيام الاجازات •

ـــ ضميرى ••

ـــ لابد أن يسمح •

ـــ أستطيع أن أسافر وتصنع أنت ما تشاء •

ـــ بل لا تستطيع •

ـــ أتمنعنى ؟

ـــ اسمح لى أن أقول نعم •

ـــ أكتب الى ••

ـــ ولا هذا •• ما سر هذه العداء ؟

ـــ انها مطالبة بالحرية وليست عداء •

ـــ وواجبى ؟

ـ واجبك أن تطيعنى •

ـ بل واجبى أن أطيع الباشا •

ـ الواقع أن واجبك هو أن تطيع ناظر الوقف •

ـ أليس الباشا هو ناظر الوقف ؟

ـ طبعا ، ولكن سيأتى يوم أصبح أنا فيه ناظر الوقف •

ولم يكن صالح يغبى هذا من أول الحديث ، ولكنه ظل يتمنى ألا يذكر نادر هذه الحقيقة فخابت أمانيه وذكرها نادر فى صراحة الحقيقة وبساطتها •

ـ ولعله من الأوفق لك أن يكون ناظر الوقف راضيا عنك دائما ، سواء فى ذلك ناظر الوقف الحالى أو ناظر الوقف فى المستقبل •

لو كانت خديجة هنا لكان هناك حديث جديد بيننا • وأطرق ، ولم ينتظر نادرا أكثر من ذلك وغادر الحجرة •

ومنذ ذلك اليوم عاد نادر الى الحياة التى عرفها فى القاهرة على يد الهام • وان كان هناك يخشى رقابة أبيه أو أقوال الناس فانه هنا لا يخشى شيئا •• ولكنه بذكائه يعرف أن هناك مصدرا آخر يرسل المعلومات المدرسية الى أبيه غير صالح •• انها المدرسة نفسها وشهادته التى ترصد درجاته ، فاستطاع أن يرضى المدرسة وألا يهمل دروسه وأن يعربد ما شاء أن يعربد بعد ذلك • وأصبح صالح منذ ذلك اليوم مطيعا فى رضوخ •• لا يشترك معه ولكن يصمت ويتمنى أن يرى زوجته

ليضيف الى أحاديثه السابقة أحاديث جديدة عن اضطراره الى السير فى طريق ثم يتصور فى يوم من الأيام أنه سائر فيه .. ولكن ماذا تنفعه زوجته وماذا تجديه الأحاديث ؟ .. ان الصراع ـ ان كان ثمة صراع ـ باق بين نفسه ونفسه ، بين ما كان يتمنى أن يكون وبين ما صار اليه فعلا .

فى الاجازات الصيفية كان الباشا يأتى الى لندن وكانت تأتى معه نازك ونادرة وكان يتفضل فيصحب أسرة صالح . ولم تكن طبيعة الأمور تمكن نازك مـن الاتصـال بصالح الا بصورة رسمية ، ولكن عين خديجة لاحظت شيئا .. شيئا واهنا لم يكن كافيا حتى لأن تفاتح صالح بشأنه ، ولكنها أحسته على كل حال وطوته فى نفسها .

ولم يشأ صـالح فى هذه الاجـازات أن ينغص على خديجة وجودها معه ، فهو يظهر أنه سعيد بمقامه لا يضيق بشىء الا ببعده عنهم . وفى هذه الاجازات كانت نازك لا تترك نادر لحظة الا حين تحس أنه يحـب أن يسهر مع نعيم سهرة خاصة ، فهى تهيىء له هذه الفرصة وترجو أباه أن يتيح له التمتع بسهرة بعيدة عن أبيه وأمه .. قليلا ما كانت تتم هذه السهرات لأن الباشا لم يكن ليسمح لها أن تتكرر كثيرا .

وفى الاجازة الأخيرة لاحظ صالح للوهلة الأولى أن صحة الباشا ليست على ما يرام ، فانتهز فرصة ذهب الباشا الى



واستطاع أن يعربد ما شاء أن يعربد

حجرته ليستريح بعد الغداء وبقيت نازك مع صالح وخديجة في بهو الفندق •

ــ صحة الباشا •

ــ كان متعبا هذا العام •

ــ وماذا قال الأطباء ؟

ــ ليسوا راضين عن صحته كل الرضا •

ــ ولماذا لا يرى الأطباء هنا ؟

ــ أظنه سيفعل •

وفعلا عرض الباشا نفسه على أطباء انجلترا وكان صالح معه دائما ، وأحس أن مرض الباشا لبس بالشيء الذى يستهان به • وانقضت الاجازة وعاد الباشا ونازك وأسرة صالح الى القاهرة واستمر صالح بلندن يمارس عمله الكريه • ولكنه فى هذه المرة أصبح تودده لنادر أكثر من ذى قبل فراح يعـــامله كسيد له أن يأمر وعلى من سواه أن يطيع • وأحس نادر هذه النغمة الجديدة وكان تفسيرها حاضرا فى ذهنه فهو فعلا السيد وصالح موظف عنده •• عنده أو عند أبيه الفرق لا يذكر •• كان نادر دائما يجد التفسير القريب لكل ما يصادفه فى حياته ••• فاقبال النساء عليه لأنه جميل وشاب ، أما أنه غنى فهذا ما لم يفكر فيه أبداً •. والتصاق نعيم به فى رأيه أمر طبيعى ، أما أن نعيم يحب نادرة ويفكر فى شأنها تفكيرا

خاصا فهذا ما لم يخطر له ببال . والحق ان هذا لا يمكن أن بخطر على بال أحد مهما يكن عميق النظرة بعيد الغور .

فان صالح مثلا وخديجة ونازك — وهى من هى — لم تلحظ أثناء زيارتها الى لندن أن ثمة لمحة يمكن أن تثير فى نفسها نوعا من الشك .. وكيف للشك أن يثور ونعيم مسيحى وأبوه يعمل موظفا بالدائرة ، ونادرة ابنة الباشا جميعا ؟

معذور اذن نادر حين لا تخطر له هذه الفكرة بشأن نعيم ونادره ، ولكنه على كل حال من هذا النوع من الناس الذين يفسرون الأمور من أقرب وسائلها . ولعل الأمور كانت تتيح له هذه النظرة القريبة الميسورة . فهو جميل لا شك فى ذلك ..فارع الطول سمح القسمات لا تستطيع فتاة أن تراه وتعبره دون اهتمام ، وهو فى حديثه بسيط جـذاب ، وجـد حياته كالجدول الرقراق لا تعترضه صخور أو عقبات فهو فى نفسه صافى الخلجات ينطلق منه الحديث فى غير تكلف أو تصنع .. نوع من الحديث لا تجده الفتيات عند كثير من الشباب الذى عانى وسار على الشوك وشق طريقـه بين الصـخور مستخدما كل آلات النفاق والتكلف والمخادعة ، وهى أدوات لم يكن نادر يعرفها ، وانما عاش عمره يريد فينال ، ويقول فيسمع ، ويسير فالورود والزهور طريقه .. كل ما عليـه أن يقرأ وأن يستمتع . وقد كان يقرأ ويستمتع . وكان يعلم

أنه يقرأ ليكون مثقفا فهو فى غير حاجة الى شهادة لتكون سلاحا له فى الحياة ، فقد كان سلاحه الطبيعى أقوى من أى شهادة •• انه ناظر الوقف المنتظر •• أما أن يكون مثقفا فهذا شيء لا يحب أن يستغنى عنه لأنه استطاع أن يجلس بين المثقفين ، واستطاع أن يدرك فى بساطة أنه بغير ثقافة ولو بسيطة لن يستطيع أن يجلس مع أحد • وقد كانت الثقافة في رأيه أن يتقن اللغات فأتقن كثيرا منها • ولكن كما كانت حياة نادر ميسورة رقيقة كانت ثقافته أيضا ميسورة رقيقة ، فهو يتقن اللغات ولكنه لا يقرأ الا ما تريده المدرسة أن يقرأ ، فهو لم يكن هاويا للثقافة وانما كان ممارسا لها فلم يستطع أو هو لم يرد أن يتعمق موضوعا بذاته أبدا ، فان شاء أن يعرف معلومات عن أمر من الأمور كلف صالح فاذا كل ما يريده حاضر بين يديه ، وقد كان يجد من العبث بعد ذلك أن يبحث هو بنفسه • والقراءة فى ذاتها لم تكن متعة له فى يوم من الأيام • انه يعرف متعاته •• ويجيد معرفتها . ولم تكن القراءة من بينها ، وقد خيل اليه بعد ما أجاد من لغات أنه لم يعد فى حاجة الى مزيد من الثقافة ، وخيل اليه أيضا أنه يستطيع الآن أن يجلس مع من يشاء • وقد كان يعرف دائما أنه يستطيع أن يقول ما يشاء فالاستحسان ينتظر شفتيه أن تنفرجا •• أما ما قد يقوله السامعون اذا انصرفوا فلم يكن يعنيه فى شيء بل

هو فى الواقع كان يظن أن المدبح الذى كانوا يطلقونه على مشهد منه هو نفسه الذى يطلقونه بينهم وبين أنفسهم أو بينهم وبين بعضهم البعض •

عاد نادر متأخرا الى البيت الدى يسكن فيه مع صالح فوجد صالح ينتظره واقفا فى البهو •

ـــ برقية أن تعود فورا الى مصر •

— ١٦ —

— ظلت تؤجل حتى مات •

— الظروف كانت صعبة •

— وأصبح نادر أنيوم ناظر الوقف •

— المصيبة أنه محبوب من جميع المستحقين •

— جميع النظار محبوبون فى أول الأمر •

— وهل ننتظر حتى يصبح مكروها ؟

— لا حيلة لنا الا أن ننتظر •

— قل لى يا يسرى أما زالت أحوالك المالية مرتبكة ؟

— ألا تعرف يا شوكت بك ؟

— لم تترك سميحة •

— سننا أصبحت لا تحتمل الترك •

— وأصبحت تحتمل القمار •

— نحن فى الهوى سوا •

— أنا لست قاضيا •

— القمار مرض لا يفرق بين قاض أو غير قاض كما لا يفرق بين كبير وصغير •

ـــ نعم معك حق •
ـــ أظنك تعرف ما أرمى اليه •
ـــ حسام ابنى لا يفرغ من القمار الا ليبحث عن النساء •
ـــ اذن فأنت تعرف •
ـــ ومن أين تظنه يأتى بالمال ؟
ـــ اذن فلابد من عمل شيء •
ـــ الآن ؟ !
ـــ فلننتظر قليلا •
ـــ ننتظر نعـــم ، ولكن اياك أن تقطع صـــلتك بأولئك الخبراء •
ـــ أتعتقد أننا سنحتاج اليهم ؟
ـــ ان لم تكن لنا بهم حاجة للتنفيذ فلا شك أننا سنحتاج اليهم للتهديد •
ـــ وهل سنحتاج الى التهديد ؟
ـــ الأيام دائما حبالى •
ـــ ونحن الذين نولدها •
ـــ لابد ممن يساعد على الولادة •
ـــ ان صلتى بمن تريد دائما قائمة •
ـــ واترك للأيام أن تكمل مواقيت ولادتها •
ـــ انى منتظر •

***

كان حزن نازك فى ظاهره شديدا فقد أرادت له أن يبدو شديدا . أما نادر ونادرة فقد كان حزنهما طبيعيا لا أثر فيه لافتعال .

وكانت كريمه تزور نازك فى كل يوم وكانت منيرة دائما معها .. ولم يمنع الحزن نادر أن يلقى نظرات الى منيرة ولكنها كانت مجرد نظرات .

وقام صالح بكل ما هو منتظر منه من واجبات ، وأصبح الرجل الأول فى الوقف بحكم قربه من ناظر الوقف الجديد .

ومرت الأيام لتكتمل شهورا وحزن نازك لا يريد أن يخف ، فهى دائما أمام ابنها وابنتها صامتة ساهمة . وهما بالطبع لا يريان أمهما حين تكون مع كريمة اذا خـلت بهما الغرفة وابتعدت عنهما منيرة لتجلس الى نادرة ، وهما بالطبع لم يسمعا .

ــ أريده جميعا فى يدى .

ــ وهل هذا الحزن يمكنك مما تريدين .

ــ ويمكنك أنت أيضا مما تريدين .

ــ كيف ؟ لعلها المرة الأولى التى لا أفهم فيها ما تقصدين .

* ★ *

كانت نازك جالسة الى نادر ونادرة فى صالونها الخاص حين جاءت كريمة ومنيرة ، وراحت كريمة تقص عليهم أخبار الناس وتحاول أن ترمى النكات بين الحين والآخر ، فكان

نادر ونادرة ومنبرة يضحكون وتظل نازك معبسة الوجه بل قد تلقى اليهم نظرة استهجان لضحكهم •

وفجأة صمتت كريمة •

ـ وآخرتها ؟

والتفتت اليها نازك وكأنها مندهشة مما تقول :

ـ أليس لها آخر ؟

وهوم الصمت •

ـ اسمع يا نادر باشا •

ـ باشا ؟

ـ ستصبح باشا فورا • ألست ناظر الوقف ؟

ـ نعم •

ـ ما رأيك تدعونا جميعا أن نسافر الى الخارج ؟

ـ نسافر ؟

ـ ان والدتك لن تستطيع أن تظل على هذا الحال ؛ ولابد لها أن تغير المكان والزمان وتسافر •

ـ الى أين ؟

ـ الى حيث تريد •

ـ مثلا ؟

ـ نلف فى أوروبا لفة •

ـ والله لا مانع عندى اذا وافقت نينا •

ـ وهل هذا يصح ؟

وتقول كريمة :

ــ بل لا يصح الا هذا ، نبعد عن الأحزان ونقضى فترة فى الخارج •

ــ وتترك الوقف يا نادر ؟

ــ اذا أردت يا نينا فاننى أستطيع أن أدبر الأمر •

ــ على كل حال تستطيع أن تترك صالح •

ــ اننى فعلا أستطيع أن أعتمد عليه •

ــ اذن نسافر •• حدد اليوم يا باشا •

وتقول نادرة كلمة عجيبة :

ــ ولكنك يا نادر ستزهق من رفقتنا •

ــ أنا •• لا •• أبدا •

ــ يحسن أن تصحب معك صديقا يسليك اذا أردنا نحن أن نخرج لشراء الأشياء فى أوروبا •

ــ وهو كذلك يا ستى •• نصحب نعيم •

***

ــ ستصبح ناظر الوقف •

ــ لفترة •

ــ لقد قصدتها خصيصا •

ــ أنت ؟

ـ طبعا •• أريد آن بعرف الجميع أنك الشخص الأول بعد الناظر •

ـ هذا ما أنتظره منك •

ـ أما ما أنتظره منك فهو أهم •

ـ خيرا ؟

ـ ليس هذا وقته •

ـ أنا تحت أمرك دائما •

ـ أرجو أن تظل كذلك •

ـ وهل أملك الا أن أكون كذلك ؟

ـ حين أعود •• وأنفذ ما أفكر فيه •

ـ فيم تفكرين ؟

ـ فى أشياء كثيرة •

ـ الآن فيم تفكرين ؟

ـ أفكر أن يكون نادر فى يدى •

ـ والوسيلة ؟

ـ هذا ما أصنعه الآن •

ـ ثم بعد هذا ؟

ـ سأخبرك •

ـ هل أنا ضمن هذه المشروعات ؟

ـ أنت من أهمها •

ـ لا أدرى لماذا أحس بخوف •

ـ وأنت بجانبى ؟

ـ لا أدرى •

ـ كن بجانبى ولن تشعر بالخوف •

ـ أنا دائما هنا •

ـ كن هنا دائما •

— ١٧ —

استطاعت نازك فى أوروبا أن تقرب منيرة الى نادر فهى تطلب منه دائما أن يرافقها ، وأدركت منيرة ما ترمى اليه نازك ، ولم يحاول نادر كعادته أن يتعمق هذه المحاولة ، انه يظنها مجاملة طبيعية من أمه لابنة صديقتها ، وكلما ازداد التقارب بينهما ازداد اطمئنان نازك وكريمة •

— فى هذه المرة أفهمك •

— أنت صديقة العمر •

— لكن ليس هذا وحده هو الدافع •

— أنا أعرف أنك تفهمين •

— اذا تزوج من لا أعرف ، خرج من يدى الى الأبد •

— منيرة تربية يدك •

***

ان أمه وأمى تلقيان بى اليه وتلقيان به على ••• لقد كنت أتمناه ولكن ليس على هذه الصورة •• لقد أصبح مفروضا على فرضا وأنا لا أحب أن يفرض أحد على حتى ولو كان نادر ••

بل لا أحب أن يفرض نادر بالدات •• كيف أستطيع أن أرفضه ؟ •• انه يتقدم الي بثقله جميعا •• الثراء الفاحش ونظارة الوقف والشباب والجمال •• ماذا أقول لأرفضه ؟ •• وأين الخيار لي ؟ •• ليس هذا اختيارا • انه زواج بالاكراه •• اكراه المال والمنصب والشباب والجمال •• كنت أريد هذا الحب الدي يتناغم بين قلبين لا يدري شيئا الا الحب وحده •• كنت أريد هذه الأحلام العذبة من آمال الشباب الوردية •• كنت أريد حبا يسبق الزواج • ولكن من أين لي بهذا ؟ •• لقد أصبح مفروضا على فرضا • ولم لم تكن أمه وأمي لعلي كنت اخترته وحدي دون دفع منهما ، وهو مسوق لا يدري الى أي شيء هو مسوق • وهو عذب صاف ، ولكن هذا النوع من الصفاء الذي لا يتمعن في أمر ولا يتعمق في شيء •• أنا أعلم أنه لا يدري ان كان يحبني أم لا •• لعله يخيل اليه أنه يحبني . ولكنه لا يدري حقيقة مشاعره لأنه لا يدري حقيقة شيء على الاطلاق • لم يقل أحبك فهو يفرض أنني أحبه كأمر لا جدال فيه ، فقد تعود أن يرى كل من حوله يحبونه ، ولم يحاول في مرة أن يتعمق هذا الحب أو مقدار صدقه • وهو يعلم أن اشارة منه تكفي لأكون زوجة له وهو محق . فأمه وأمي في انتظار هذه الاشارة وهو واثق أنني أيضا في انتظار هذه الاشارة • ألست من الناس وكل الناس يحبونه ؟ فكيف لا أكون مثلهم ؟ سأتزوجه حين يطلبني ولا

سبيل أمامى الا هذا • ولكن الذى لا شك فيه أن هذا الزواج مفروض على •• لعل كل من أعرف من البنات يتمنينه • ولكن أنا •• أنا بالذات كنت أرجو أن أتزوج بطريقة أخرى •

★★★

وفى غمار هذه المحاولة المتشبثة من نازك لتزوج نادرا من منيرة ، لم تلتفت عيناها الى حب آخر •

ـ وماذا بيدنا أن نصنع ؟

ـ أشهر اسلامى •

ـ أتظن أن الدين هو العقبة الوحيدة ؟

ـ هو العقبة الأساسية •

ـ يبدو أنك لا تقدر حقيقة الموقف •

ـ أبى موظف صغير عندكم ، ولكن ما لى أنا ؟

ـ الأمور ليست بالسهولة التى تتصورها •

ـ أنا سأترك دينى من أجلك ؛ فعليك أنت أن تصنعى شيئا •

ـ ليس شيئا بسيطا هذا الذى تريدنى أن أفعله •

ـ وليس شيئا بسيطا الذى سأفعله أنا •

ـ انهم الآن مشغولون بنادر •

ـ أعلم •

ـ فانتظر حتى ينتهوا •

ـــ انى منتظر ، ولكن أريد وعدا •
ـــ سأحاول •

★ ★ ★

منيرة أن أصبح وان أمسى •• ولم لا •• لقـــد عرفت كثيرا من الفتيات ، ولكن حين أريد أن أتزوج لابد أن تكون زوجتى منيرة •• لقد سرت معها وحدنا كثيرا وأنا واثق أنها تحبنى ؛ ومع ذلك لم تحاول أن تظهر لى شيئا من حبها •• جميل حياء العذارى •• انها الفتاة الشريفـــة التى يطمئن الانسان حين يتزوجها •• ثم لابد لناظر الوقف أن يتزوج •• أليس كذلك ؟ •• لابد لناظر الوقف أن يتزوج •

★ ★ ★

كان حفل الزفاف رائعا ، واختلط فيه الرجال بالنساء وقدم فيه كل ما يخطر ببال الا الخمر ، فبيت ناظر الوقف لا يجوز أن يقدم فيه الخمر ، ونادر باشا يدور بالمدعوين يعرفهم بأقاربه وهم يبدون اعجابهم وتهنئاتهم وحين تقدم حسام شوكت من العروسين قال الباشا :

ـــ وهذا حسام شوكت أعظم خلبوص فى العائلة •

ثم ضحك ضحكة رنانة عاليـــة صافية مجلجلة رنانة ، وابتسم حسام :

ـــ أهكذا يا سعادة الباشا من أول مرة ؟

ـ انها ستعرف الحقيقة على أى حال مادامت أصبحت من الأسرة •

وضحك الضحكة نفسها مرة أخرى •

وفى طرف خفى من الحفل :

ـ هذا أحد مشاربعى يتحقق •

ـ أهناك مشاريع أخرى ؟

ـ مشروع خاص بى أنا •

ـ بك أنت ؟

ـ وبك أيضا •

ـ ماذا ؟

ـ ليس الآن على كل حال •

وكانت عينا خديجة قد رأتهما ، فحين انفردت بهما الحجرة فى المساء :

ـ ماذا كانت تقول نازك لك ؟

ـ سؤالك عجيب •

ـ نعم لعله عجيب فعلا •

ـ فلماذا تسألينه ؟

ـ ولماذا لا تجيب ؟

ـ أغريب أن تكلم أم ناظر الوقف موظفا عندها ؟

ـ أكان الكلام عن الوقف ؟

وصمت قليلا :

ــ لماذا لا تجيب ؟

ــ الواقع لم يكن عن الوقف •

ــ فالسؤال فى محله اذن ؟

ــ ولكن كيف عرفت ؟

ــ احساس قديم •

ــ احساس ؟ !

ــ احساس لعله بلا مبرر ، ولكنه احساس على أى حال •

ــ هو احساس كاذب •

ــ لا يستبعد أن يكون كاذبا كما لا يستبعد أن يكون صادقا •

ــ هو كاذب •

ــ فماذا كانت تقول لك ؟

ــ تقول لقد حققت شيئا هاما بهذا الزواج •

ــ فأنت موضع سرها •

ــ ألا يرضيك أن أكون موضع سرها ؟

ــ موضع سر نازك ؟ •• لكم أخشاها •

ــ اننى موظف عندهم •

ــ أهم موظف عندهم •

ــ ألا يسرك هذا ؟

ـــ على أن يظل الأمر كذلك •

ـــ ولماذا لا يظل ؟

ـــ أرجو ألا يزيد •

ـــ وكيف يمكن أن يزيد ؟ لقد كنت المتصرف فى الوقف أثناء غيابهم فى الخارج •

ـــ أرجو ألا يزيد •

— ١٨ —

ولدت منيرة لزوجها طفلة فرح بها نادر وكأنما حدث أمر لم يكن ينتظره • ولم يفكر أنه لم ينجب طفلا بدلا من طفلة ، ولم يفكر أن الوقف لابد له من فتى لتظل نظارة الوقف فى الأسرة ، وأصبح لا يعرف ماذا يفعل ليعبر عن هذه الفرحة ، فهو يقضى معظم أوقات يومه مع الوليدة نادية يداعبها ويضحك من كل ما تفعله •

أحضر المصورون فصوروها وصـوروا أمها وصـوروا الأسرة •• وفى مرة بينما وقف يرقب المصور وهو يلتقط لمنيرة ونادية أخذ بالمنظر وأحس تلك الخفقات من الفرح التى يحسها الشاب الصافى حين يجد زوجته جميلة وابنته جميلة ، وخيل لنادر أن هذه الصورة لوحة لابد أن يسـجلها فنان لا عدسة ، وسرعان ما طلب من صالح أن يستدعى له أعظم رسام وجوه فى العالم • وكان صالح يستطيع دائما أن يعرف ما يريد معرفته ، وقد كان أعظم مصورى الوجوه شابا ايطاليا شهيرا سرعان ما أرسل صالح يسـتدعيه • وجاء الرسام

شاب وسيم عذب الحـديث أنيق التصرفات فى غـير تكلف ولا افتعال •

وقدم نادر زوجته وابنته الى الرسام فأبدى اعجـابا شديدا بهما ، بل وأبدى سعادة أنه سيقوم برسمهما ؛ وبطبيعة نادر الصافية لم يتصـور أن فيما قاله الرسـام شيء من المجاملة •

ـ متى تبدأ عملك ؟

ـ مع هذا الجمال وهذا الطهر أتمنى أن أبدأ عملى فى هذه اللحظة •

وأطلق نادر ضحكته العظيمة :

ـ عظيم •• عظيم •• اذن تبدأ •

ـ الآن •

وصاحت منيرة :

ـ طبعا لا •

ونظر الرسام الى نادر :

ـ أرأيت ؟ كنت أعرف أنها ستمانع •

ـ كيف عرفت ؟

ـ اذا بدأت غدا أو بعد غد أكون سعيدا •

ـ لماذا كل هذه السرعة ؟

ـ ان السيدة تريد طبعا أن تختار الفستان الذى ترسم به ، وتختار أيضا ملابس للمدموازيل ••

وأطلق نادر ضحكته وقد أضيف اليها عنصر الفـــرح أن يطلق على نادية لقب مدموازيل • وأكمل الرسام حديثه مع ابتسامة عذبة :

ــ نعم ملابس للمدموازيل تكون مناسبة لفستان السيده •

ــ اذن فلن نبدأ قبل أسبوع •

وضحكت نادية •

ــ أعدك أن تبدأ بعد أسبوع تماما •

ونظر أنطونياني الى الباشا :

ــ أرأيت ؟

ــ أنت خبير •

ــ أنني أعرفهن •

ــ هل عندك مانع أن تزور القاهرة فى هذه الفترة وتتعرف عليها ؟

ــ انني أتمنى •

ــ أهى المرة الأولى التى تأتى فيها الى مصر ؟

ــ أرجو ألا تكون الأخيرة •

ــ اذن فأنا أدعوك لزيارة مصر جميعها فى هذا الأسبوع •

ــ هل يمكن ذلك ؟

ــ حتى لو استغرق هذا أكثر من أسبوع فلا يهم •

وتقول منيرة :

ــ وتكون فرصة لأحسن الاختيار والتفصيل •



مع هذا الجمال وهــذا الطهر ، أتمنى
أن أبــدأ عمــلى فى هــذه اللحظـــة

وأراد نادر أن يندب صالح ليكون مرافقا لأنطونيانى ؛ ووافق صالح ولكن نازك عرفت :

ــ صالح أكبر من أن يرافق رساما ليمر به على آثار مصر .

وانتبه نادر ..

ــ آسف .. ظننتها فرصة أن يتنزه هو أيضا .

ــ هل بعد كشوفه فى الصحراء يصبح ترجمانا لرسام ايطالى ؟ ان أهم ما يجب أن تتعلمه هو أن تختار الشخص للمهمة .. هذه مهمة يستطيع أن يقوم بها أى موظف صغير فى الوقف ولا يجوز أن تصغر كبار رجالك حتى يظلوا كبارا .. فالكبير كبير بمن حوله .

ــ نينا أنا آسف ؛ وأنت لا تحتاجين الى كل هذا الحديث حتى أعدل عن رأيى .. يكفى أن أعرف رغبتك .

ــ ليست هــذه رغبة ، انهــا رأى انتهزت الفرصــة لأقوله لك .

ــ يبدو أننى صغير ما زلت محتاجا للتعليم .

ــ أيضايقك أن أقول رأيى ؟

ــ لا ، ولكن أرجو أن تذكرى أننى أصبحت ناظر الوقف ولست طفلا .

ــ هل فيما قلت ما يدل على أننى أعتبرك طفلا .

ــ لا .. فى هذه المرة أنت محقة .

ـ حين لا تجدنى محقة ذكرنى بأنك أصبحت الباشا ناظر الوقف •

ـ نبنا أنت زعلت ؟

ـ أنت زعلت ؟

ـ أبدا •

ـ وأنا •• أبدا •

ولم يذهب صالح لمرافقة أنطونيانى ، ولكن رأيا آخر ظهر :

ـ نبنا •

ـ نعم يا نادرة ؟

ـ لماذا لا أذهب أنا مع أنطونيانى ؟

ـ أنت ؟ هل جننت •

ـ أتفرج على آثار مصر •

ـ وحدك ؟

ـ ولماذا وحدى ؟ لتكن معى مدام ايزابيل مربيتى ، وليذهب نعيم معنا •

ـ اسألى أخاك •

ووافق نادر وأصدر أوامره باعداد الرحلة ؛ وطبعا صحب الرحلة موظف اختاره صالح •

* ★ *

ـــ صالح ، الآن أستطيع أن أنفذ مشروعنا •

ـــ أكاد أعرفه •

ـــ أتعرفه حقا ؟

ـــ أنت تعرفين أننى لست غبيا •

ـــ اذن فليسر الأمر ولو مرة واحدة طبيعيا بيننا •

ـــ ونادر ؟

ـــ دع الأمر يكون طبيعيا ولو لمرة واحدة بيننا •

ـــ نادر ؟

ـــ نناقش التفاصيل فيما بعد •

ـــ اذن يا نازك هانم أنا يشرفنى أن أتقدم لخطبتك •

ـــ آه هكذا •• هكذا يصبح الأمر طبيعيا •• فأنت لأول مرة تطلبنى •

ـــ وأطلبك الى الأبد •

ـــ أخيراً •

ـــ ما جوابك ؟

ـــ أحب أن يكون الأمر طبيعيا •

ـــ أليس طبيعيا الآن ؟

ـــ المفروض أن أقول دعنى أفكر •

ـــ أهذا هو المفروض ؟

ـــ دعنى أفكر •

* ★ *

ــ أولا تطلق خديجة ؟

ــ ماذا ؟

ــ أنا نازك هانم ، أتريدنى زوجة ثانية ؟

ــ ولكن .. الأولاد .

ــ هذا شأنك .

ــ ماذا أقول لهم ؟

ــ وهل أنت مضطر أن تقول ؟

ــ وهى ما ذنبها ؟

ــ أهى صحوة ضمير ؟

ــ مجرد تساؤل .

ــ عليك أنت أن تجيب هذا التساؤل .

ــ ونادر ؟

ــ هذا شأنى أنا .

ــ قد يطردنى .

ــ لا يستطيع .

ــ بل يستطيع .

ــ لا يستطيع .

ــ أنا أعرف تأثيرك عليه ، ولكن هناك أمور قد لا يتحملها أحد .

ــ اسمع ، انى دبرت الأمر .

ــ كيف ؟

ـ سيظل الزواج سرا •

ـ سرا ؟

ـ سرا •

ـ فما الداعى له اذن ؟

ـ سرا وليس سرا •

ـ لأول مرة لا أفهم •

ـ سيعرف جميع المحيطين بنا أننا تزوجنا ، ولكننا لن نعلن الخبر •

ـ الآن فهمت •

ـ سيصبح الخبر عند الناس اشاعة تحتمل الكذب والصدق • فان طرذك نادر ستصبح الاشاعة صدقا فقط لا تحتمل الجانب الآخر •

ـ تهديد •

ـ لنادر •

ـ وماذا سيكون موقفه منى ؟

ـ موقفه من زوج أمه •

ـ أخشى أن يغضب منى •

ـ فى أول الأمر قد يغضب •

ـ ثم ؟

ـ ثم سيعرف أننى أنا التى أريد ، وأنا مستعدة لتحمل كل ما يستطيع أن يصنعه •

— انه يملك سلطات واسعة •

— لقد عشت عمرى الماضى خائفة من زوجى ، ولن أعيش عمرى الباقى خائفة من ابنى •

— انه ناظر الوقف •

— وأنا أمه •

— أعلم •

— لن يستطيع أن يعلن الشقاق بيننا لو حدث شقاق •

— اذن أمرك •

— لا تنس أنك أنت الذى طلبت الزواج •

— لا يمكن أن أنسى •

— اذن فلنبدأ اجراآته •

— أمرك •

— كن زوجى ولا تكن موظفا عندى •

— أمرك •

★ ★ ★

كانت خديجة تتوقع أى شىء الا أن يطلقها •• كانت تتوقع أن تقوم علاقة بن نازك وصالح •• ولعلها مع أسوأ الفروض كانت تتوقع أن يتزوج صالح من نازك • ولكن طلاقها هو الأمر الوحيد الذى لم تتوقعه •• قرأت ورقة الطلاق وقرأتها وقرأتها ثم أصابها وجوم جازع منهار ، ثم وجدها من حولها

فى حالة هستيرية مجنونة معربدة فهى دائرة فى البيت تحطم كل ما تجده بلا تفكير .

حطمت وحطمت . وابنها وابنتها ينظران اليها ذاهلين .

وحين قرأ أيمن الورقة الملقاة على الأرض أعطاها دون كلمة الى أخته عزه . وفهم الأبناء ما تعانيه أمهما فأصبحا ينظران اليها فى اشفاق لا يدريان ماذا يفعلان او ماذا يقولان . فقد شعر كلاهما شعورا واحدا أن أى عمل وأى حديث عبث .

ولكن خدم المنزل سارعوا يلتمسون العون . فمنهم من طلب الأم الهام ومنهم من طلب الطبيب ، وخديجة فى ثورتها المجنونة العارمة لا تحس بأحد ولا بشىء .

وجاء الطبيب ولم يكن بيده الا أن يطلب اليهم أن يمسكوا بها عنوة ليعطيها ابرة مهدئة .. وأعطاها الابرة المهدئة .. وكانت ابرة مورفين .

←●●→

لأول مرة واجه نادر أمرا لا يريده وأحس بنفسه فى مصيدة لا يطيق منها فكاكا ، فقد دللته أمه بخطتها كاملة .. من حق المرأة أن تتزوج اذا كانت فى سنها حتى ولو كانت زوجة الباشا الناظر السابق للوقف ووالدة الباشا الناظر الحالى للوقف ، فهى تظل امرأة .. حقيقة لم يكن نادر يفكر فيها أبدا فلم يكن يتصور أن أمه امرأة ، انما كان يتصور أنها أمه فقط .

حاول أن يمانع ولكن كيف ؟ انه أمام أمه التى لم يرفض لها طلبا فى حياته • وهو أيضا يدرك أنه لو مانع فلن تستمع له وستنفذ ما تريد أن تنفذ مهما يحاول أن يتأبى •• قد تخرج وتترك البيت فيسيع ما ينبغى له أن يستر • لأول مرة يريد شيئا ولا يستطيع بلوغه ، أو هو لأول مرة يريد شيئا ولا يستطيع منعه •

عرف الحقد والكره لأول مرة وكان عجيبا أن أول شعور بالحقد والكره يداخله ، يداخله تجاه أمه لا تجاه شخص آخر •

غضب على صالح ولكن كان يعرف أن أمه هى التى تريد ، ومع ذلك لم يستطع أن يمنع شعور الغضب •

تولته ثورة يريد أن يصنع شيئا •• يريد أن يخرج من المصيدة •• يصنع أى شىء •• لم يذهب الى منيرة فهى لا تستطيع أن تخرجه من المصيدة •• ترك أمه وخرج من الغرفة دون أن يجيبها بنعم أو بلا •• فقد كان يعرف أن كلتا الكلمتين لا داعى لهما فقد قررت •• انها تبدو أنها تستأذنه ولكنه وثق فى أثناء حديثها أنها انما تخبره •• فما لا ؟ وما نعم ؟ وماذا تجدى هذه أو تلك ؟ •• خرج من الغرفة وذهب الى سيارته وانطلق بها لا يدرى الى أين ، وانما انطلق فى سرعة مجنونة عاتية يلتهم الطريق كأنما يحس أنه اذا قطعه فسيخرج من المصيدة ، وأسرع وأسرع لا يدرى لنفسه متجها ،

وترك القاهرة وراح يسوط الطريق بعجلاته كأنما ينتقم من الطريق الذى لا يستطيع أن يخرجه من المصيدة ، غير عابىء بالسيارات الأخرى أو الناس أو الحيوانات •• عليها هى أن تتفاداه أما هو فبريد أن ينطلق فى هذه السرعة الغاضبة المجنونة وليكن بعد ذلك ما يكون •• تفكيره حريق ونفسه اشتعال وغضبه الذى يعرفه لأول مرة دمار •

ووجد نفسه أخيرا أمام قصره بالاسكندرية ، فنزل ودلف الى البيت لم يوجه الى الخدم حديثا ، وانما انهار على أول كرسى استقبله وأطلق آهة عميقة ، ثم أسلم نفسه الى الصمت •• نعم اننى لم أزل فى المصيدة •

— ١٩ —

حين عادت نادرة من رحلتها كانت قد أعدت كل شيء ، وحين وجدت زواج أمها فى انتظارها أصبح الأمر أكثر يسرا :

ـــ سوف يشهر اسلامه .

ـــ أتعقلين ما تقولين ؟

ـــ اذا كنت أنت تتزوجين ممن تريدين ، فلماذا لا يكون لى هذا الحق ؟

ـــ ألم تفكرى فى أخيك ومنصبه ؟

ـــ أراك أيضا لم تفكرى فى ابنك ومنصبه .

★★★

ـــ لا أريد أن أرى وجهها ولا وجه نعيم .

ـــ هذا لا يغير شيئا من المشكلة .

ـــ لا أريد أن أرى أحدا منهما .

ـــ لا بد أن يعلن الخبر .

ـــ لا أراهما .

ـــ الأمر معهما مختلف ، فأنا لم أعلن عن زواجى .

ـــ أنت أمها افعلى ما تشائين .

ـ وأنت أخوها •

ـ لا أريد أن أكون أخا أحد •

وصمت قليلا ثم قال :

ـ ولا ابن أحد •

ـ لا تغلط •

ـ العجيب أننى لم أجن حتى الآن •

ـ لابد للحياة أن تسير فى طريقها •

ـ أهذا هو الطريق الطبيعى للحياة ؟

ـ هذه هى الحياة •

ـ قبيحة ذميمة ••

ـ اننى أنا المخطئة •

ـ أنت طبعا المخطئة •

ـ أنا المخطئة لأننى لم أجعلك ترى من الحياة الا وجهها الجميل •

ـ وهأنذا أرى وجهها الفظيع •

ـ أنت لم تر شيئا •

ـ أهناك أفظع من هذا ؟

ـ أنت لم تر شيئا •



اذا كنت أنت تتزوجـــين ممن تريدين ،
فلمـــاذا لا يـــكون لى هـــذا الحـــق ؟

(أمواج ولا شاطىء)

أصبح نادر حجلا من أمه ومن اخته ، فزواج أمه تساع بين الناس وان لم يعلن عنه . وزواج أخته أذيع فى جميع الجرائد والمجلات . ونادر لا يريد أن يرى أحدا ، ولولا أنه مضطر أن يوجد فى مكتبه بالوقف منذ الصباح ما نزل الى الوقف أيضا . كان يحس أن الناس لا تتحدث الا عن أمه

صالح يخشى الدخول اليه فى مكتبه ، ولكن العمل كان يقتضى ان يلقاه .. لم يقل له شيئا .. كأن شيئا لم يحدث . استكبر نادر أن يكلمه فى هذا الأمر ولكنه فى نفس الوقت لم يستطع أن يعامله كما كان يفعل .. هى الأعمـــال فقط ولا حديث آخر .

وفى يوم بينما صالح واقف امامه يعــرض عليه بعض أوراق ، وجد نفسه لا يحتمل . قام فجأة ودخل الى جناحه فى السراى وظل يسير فى الأروقة على غير هدى . ومر بالغرفة التى يقوم فيها أنطونيانى برسم زوجته ، ووجد قدميه تقودانه الى داخل الغرفة ... ما هذا ؟ .. أهذا هو الجانب الآخر من الحياة ؟ .. أحقيقة ما يرى ؟ .. زوجته بين أحضان أنطونيانى . والطفلة تنظر اليهما ، يقبلها وهى تحمل طفلتها .

رأته منيرة .. شهقت .. ولكنه كان قد عاد تاركا الغرفة . لم يبق له أحد .. لا أحد .. لا أحد ..

نزل الى السيارة عقله لا يفكر ، لا يفكر مطلقا . هو فى روع آخذ جبار عنيف . أنطلق بالسيارة . وانطلق وانطلق

وطال الطريق وهو لا يدرى .. فى أوربا كنا نسير سويا .. نادية .. أنا أول من عرفت .. هذا لا شك فيه .. كل شيء متسكوك فيه .. لماذا ؟ أمى .. نادره .. ومنيرة .. لماذا ؟ .. وكيف ؟ .. ولماذا ؟ .. ومع من ؟ .. انه لن يبقى .. اذن فهى تعطى نفسها لمن يرغب . عبث .. عبث .. عبث .. السمعة .. الناس .. لا يهم . المهم هو أنا .. أنا . وهل بقى لى أنا ؟ .. وما أنا ؟ ألسن زوجتى وبنتى وأمى وأختى ؟ .. ماذا بقى من أنا ؟ .. نادية .. منيرة .. هل رأيت ما رأيت حقا ؟ .. أعود لأتأكد ؟ . لعله ما بزال يقبلها .. أعود لأرى ؟ .. زوجتى منيرة .. ماذا بقى لى من أنا ؟ لا يحس بالطريق ولا يحس بشيء .. وفجأة نبتت أمامه فتاة صغيرة لوى السيارة ليتفاداها فاذا بالسيارة تتقلب مرات حتى تستقر مقلوبة فى الحقول ، ثم يهوم الصمت .

* ★ *

فى المستشفى بدأ يفكر .. لو قال ما رأى لجنى على نادية جناية لا تستحقها . لو صمت . سيجن . ماذا يفعل ؟ ماذا يفعل ؟

تدخل منيرة وتخرج لا يستطيع أن يحادثها اذا انفرد ، فان دخلت أمه حادث منيرة بما لا يجعل الأم تشك فى شيء . فاذا خرجت الأم صمت .

ــ كان يقبل نادية .

لم يجب . لا يســـتطيع أن يصـــدقها ويكـذب عينيه .
لا حديث . لا حديث على الاطلاق .

حاولت نادرة أن تنتهــز الفرصـــة لتعــود الأمور الى طبيعتها بينها وبين أخيها فدخلت تزوره .. لم يحدثها ولم ير داعيا أن يحدث منيرة أمامها .. ما فعلته نادرة أهون مما فعلته منيرة .. ولكنه لم يستطع أن يحتمل وجودهما معا أمامه .. قال فى حزم :

ـ اخرجا .

وخرجتا كل منهمـا تعـلم أن أمر الطرد صـادر لها وحدها .

* ★ *

شفى وخرج من المستشفى ولكنه انقلب شخصا آخر . أصبح لا يترك بيت الهام وأصبح يطالبها باقامة الحفلات . كان يريد أن يعود الى هذه الأيام التى أعطته فيها الهام سيارة وفتاة .. فهو يلاحق كل من تقع عليها عيناه من فتيات . وأصبح لا يستخفى فى علاقاته حتى لقد سرت الاشاعات أنه فقد قدرته الجنسية أو كاد ، ويريد أن يستر هذا بما يفعل مع النساء . وهو لا يعنى بشىء من هذا وانما يسير طريقه الذى خطه لنفسه غير مكترث بأحد أو بشىء . والهام تهيىء له كل ما تصبو اليه نفسه . أصبح لا يصادق الا الخدم والقوادين ، وتردى فى طريق لم يتصور أنه سيسير فيه .. أصبح يضحك ضحكته الشهيرة ، ولكنه كان كلما ضحكها أحس أنه يضحك من نفسه وأحس أن العالم أجمعه يضحكها منه معه .. الى أين الطريق ؟ .. الى أين تنتهى به نزواته ؟ .. لا يدرى أو لعله يدرى ولكنه لا يريد أن يفكر .. أصبح ابن لحظته يطالبها أن تعطيه كل متع العالم ولا يهمه من بعد ماذا ستحمل اللحظة التالية . كل ما يريد أن ينسى كل شىء عن كل شىء ، ويسمع مديح الخدم والقوادين ، ويصدقه .. انه يريد أن يصدقه فهو أبداً لا يحاول أن يبحث وراء الكلام

الذى يصدر اليه من أى منبع ولا عن أى مصدر يصدر ..
له لحظته لا يعنيه ما بعدها ، وله الكلمة ولا يعنيه ما وراءها ،
وحين يحاول بعض المخلصين من المستحقين أن يقولوا شيئا
يهددهم أو يعرض عنهم . فكل حديث لا يمتعه لا يريده ،
لا يسمعه مهما يلح عليه . والمخلصون قلة والمنتفعون كثرة .
والمديح جميل والنصيحة بغيضة . وهو يريد اللحظة ، يريدها
متعة . والكلمة المادحة تزيد المتعة متعة .. فليخض الأمواج
.. والشاطىء .. الى أين ترسو السفينة ؟ لا يهم .. انه
يغوص فى الأمواج ولا شأن له بالشاطىء .. لعل بحره يكون
بلا شاطىء .. لكل بحر شاطىء .. ولكن لعل .. لعل ..
لعل بحره هو بلا شاطىء .. وجد متعته الكبرى فى القمار ..
أصبح يقامر بكل مال يقع فى يده . وأوشك الوقف فى مرتين
أن يصبح مرهونا جميعا لولا أن توسل المستحقون لدى
الديانة فتنازلوا عن حقوقهم .. أصبح الوقف جميعا مهددا
بالخراب فلم يعد يعنيه أن يبقى أو لا يبقى ، وأصبح
المستحقون فى ذعر دائم أن يصبح عليهم صباح ليجدوا الوقف
جميعا أصبح فى أيدى الناس بددا ؛ ويصبح ريعه سبدادا
ادیون ؛ وحینئذ لن تجدی الوقفیة فی شیء .. انه یقامر
بجنون .. كان القمار يمده بلحظات المتعة ويجعله يغوص
أكثر فى أعماق الموج ويجعله ينسى أكثر وأكثر . ان للأمواج
شاطئا ، فان فكر لحظة ، مجرد لحظة .. لعل .. لعل موجى

يكون بلا شاطىء .. اضطرب المستحقون وأصبحوا لا يدرون بماذا يطالعهم الغد أو بماذا يوافيهم المساء ، وأصبح أكثر الجميع هلعا موظفو الوقف ، فكل من لا يمدحه يغيره ، فطرد الموظفين واستبدالهم بآخرين أصبح لعبة يلهو بها كما يلهو بأوراق اللعب .

★ ★ ★

وتمر الأعوام وقليلا ما تمر ، ويفاجأ بأن منيرة حامل ، ولا يقطع هذا الخبر الاشاعة . عان الضعف لا يمنع القدرة منعا تاما . وتكتمل شهور الحمل وتلد منيرة فتاة أخرى هى نعمت .

ولا تكمل نعمت فى بيت أمها شهورا حتى يعلن نادر طلاق منيرة ، ويجعل ذريعته أنه يريد أن ينجب أبناء ليرثوا نظارة الوقف .

ومن بيت الهام يختار عروسه فتاة لم يكن يعرفها ، وانما قدمتها اليه الهام على أنها سميرة ابنة مجدى بك السنهوتى .

— ولكنها مخطوبة .

— لم تتزوج بعد . أليس كذلك ؟

— مخطوبة .

— اسألوها واسألوا أباها .

— أمرك .

وتفسخ خطبة الفتاة ويتزوجها نادر ، ولكن ..

— ٢٠ —

ـ شوكت قد حان الوقت •

ـ نعم يا يسرى قد حان الوقت •

★ ★ ★

وكان نادر بمكتبه بادارة الوقف حين دخل اليه يسرى وشوكت وبعض أشخاص آخرين •

ـ يا باشا ان الحال هكذا لا يمكن أن يستمر •

ـــ ما هو الذى لا يمكن أن يستمر ؟

ـ سمعة الوقف أصبحت فى الحضيض •

ـ أنا ناظر الوقف المسئول عنه •

ـ لهذا جئنا اليك •

ـ ماذا تريدون ؟

ـ أن تتنازل •

ـ ماذا ؟

وظهرت أسلحة مشهرة من مرافقى يسرى وشوكت •

ـ أهى فوضى ؟

ـ سوف يشهد جميع الموظفين أنك حاولت قتلنا فدافعنا عن أنفسنا •

وكان يسرى قد أعد ورقة التنازل فوقعها نادر ، وكأنما كان ينتظر هذا اليوم كشىء مؤكد لا سبيل الى الفرار منه •

* * *

سافر هو وزوجته الى أوروبا ، ولكن زوجته لم تطق العيش معه طويلا فقد أصبح لا يجد لذة الا مع العاهرات •

ـ مضمونات •

ـ العاهرات ؟

ـ نعم اننا نعرف أنهن عاهرات •• انهن النوع الوحيد الذى لا يغش من النساء •• فاننا نعرف أنهن عاهرات •

ولم يقنع هذا المنطق سميرة فهى تتركه للعاهرات وتعود الى القاهرة •

* * *

فاجأه الموت وهو فى سن الشباب ، ولم يعرف أحد كيف مات فقد كثرت حول موته الأقاويل والاشاعات •

وجدوا خطابا بين أوراقه : « الى ابنــتى نادية راجيا آلا تفتحه الا بعد وفاتى » •

وفتحت نادية الخطاب :

« أنت الوحيدة التي لا احب أن تصدق ما يقوله الناس
نى ، ولعل أهم ما يمسك فىّ أمر أسرتنا أننى طلقت والدتك .
بل ما أرجو أن تعرفيه أن أختك نعمت ليست ابنتى .

وكنت قد سمعت عن علاقة بين منيرة وحسام ولم أتنأ
أن أطلقها حتى لا أسىء اليك ، فحين جاءت نعمت أشفقت
عليك وأشفقت عليها هى أيضا ، فهى لا ذنب لها ، ولكننى لم
أطق أن أعيش معها فكان الطلاق . وهذا السر بين يديك
الآن ؛ وأنت وحدك التى تملكين التصرف فيه . وان كان لى
رجاء عندك يجاب ، هو أن تشفقى عليها فهى وان لم تكن
ابنتى فانها أختك .

أبوك
« نادر »



... وهـذا السر بـين يـديك الآن ،
وأنت وحدك التى تملكين التصرف فيه

من مطبوعات مكتبة مصر

للمـــؤلف

- ثم تشرق الشمس .
- هارب من الأيام .
- لقـــاء هنـــاك .
- أمواج ولا شاطىء .

مؤلفــــات

عبد الحميد جوده السحار

الطبعة الأولى

أحمس بطل الاستقلال	قصة	مايو سنة ١٩٤٣
أبو ذر الغفارى		يوليو سنة ١٩٤٣
بلال مؤذن الرسول		مايو سنة ١٩٤٤
فى الوظيفة	مجموعة أقاصيص	ديسمبر سنة ١٩٤٤
سعد بن أبى وقاص		يوليو سنة ١٩٤٥
همزات الشياطين	مجموعة أقاصيص	فبراير سنة ١٩٤٦
أبناء أبى بكر الصديق		أكتوبر سنة ١٩٤٦
الرسول (حياة محمد) ترجمه مع محمد محمد فرج		يناير سنة ١٩٤٧
فى قافلة الزمان	رواية	سنة ١٩٤٧
أهل بيت النبى		مايو سنة ١٩٤٨
أميرة قرطبة	قصة	سنة ١٩٤٩
النقاب الأزرق	قصة	مايو سنة ١٩٥٠
المسيح عيسى بن مريم		سنة ١٩٥١
محمد رسول الله (مترجمة)		١٩٥١
قصص من الكتب المقدسة		سنة ١٩٥٢
الشارع الجديد	رواية	سنة ١٩٥٢
صدى السنين	مجموعة أقاصيص	سنة ١٩٥٣
حياة الحسين		سنة ١٩٥٤
قلعة الأبطال	قصة	سنة ١٩٥٤
المستنقع	قصة	ديسمبر سنة ١٩٥٧
أم العروسة		يناير سنة ١٩٥٨
وكان مساء	قصة	مارس سنة ١٩٥٨
أقوع وسيفان	قصة	يوليو سنة ١٩٥٨
الحصاد	رواية	سبتمبر سنة ١٩٥٩

الطبعة الأولى

القصة من خلال تجاربى الذاتية		سنة ١٩٦١
جسر الشيطان	قصة	اكتوبر سنة ١٩٦٢
ليلة عاصفة	مجموعة اقاصيص	ديسمبر سنة ١٩٦٣
النصف الآخر	قصة	يناير سنة ١٩٦٤
السهول البيض	رواية	يونيو سنة ١٩٦٥
وعد الله واسرائيل		يوليو سنة ١٩٦٧
عمر بن عبد العزيز	قصة	يناير سنة ١٩٧٢
الحفـــيد	قصة	اكتوبر سنة ١٩٧٢
هذه حياتى	(قصة حياة المؤلف)	فبراير سنة ١٩٧٤
ذكريات سينمائية		ابريل سنة ١٩٧٤
ملك الموسيقى		١٩٨٣
خفقات قلب		١٩٨٣
صور وذكريات		١٩٨٣
الاسراء والمعراج		١٩٨٣
عدو البشر (سيناريو وحوار)		ابريل سنة ١٩٨٤
النمـــــر (سيناريو وحوار)		ابريل سنة ١٩٨٤
الله اكبر (سيناريو وحوار)		ابريل سنة ١٩٨٤
أبطال الجزيرة الخضراء		١٩٨٥
ثلاثة رجال فى حياتها		١٩٨٥
مسجد الرسول		١٩٨٥
فات الميعاد (سيناريو وحوار)		ابريل سنة ١٩٨٦
آدم الى الأبد (سيناريو وحوار)		ابريل سنة ١٩٨٦

القصص الدينى

(للأطفـــال)

قصص الأنبياء	فى ١٨ جزءا
قصص السيرة	فى ٢٤ جزءا
قصص الخلفاء الراشدين	فى ٢٠ جزءا
العرب فى أوروبا	فى ٢٤ جزءا

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ

وَالَّذِينَ مَعَهُ

١ ـ ابراهيم ابو الأنبياء	اكتوبر ١٩٦٥
٢ ـ هاجر المصرية أم العرب	مارس ١٩٦٦
٣ ـ بنو اسماعيل	سبتمبر ١٩٦٦
٤ ـ العدنانيون	فبراير ١٩٦٧
٥ ـ قريش	مايو ١٩٦٧
٦ ـ مولد الرسول	يولية ١٩٦٧
٧ ـ اليتيم	اكتوبر ١٩٦٧
٨ ـ خديجة بنت خويلد	يناير ١٩٦٨
٩ ـ دعوة ابراهيم	مارس ١٩٦٨
١٠ ـ عام الحزن	مارس ١٩٦٨
١١ ـ الهجرة	سبتمبر ١٩٦٨
١٢ ـ غزوة بدر	نوفمبر ١٩٦٨
١٣ ـ غزوة أحد	يناير ١٩٦٩
١٤ ـ غزوة الخندق	مايو ١٩٦٩
١٥ ـ صلح الحديبية	يونية ١٩٦٩
١٦ ـ فتح مكة	نوفمبر ١٩٦٩
١٧ ـ غزوة تبوك	نوفمبر ١٩٧٠
١٨ ـ عام الوفود	مايو ١٩٧٠
١٩ ـ حجة الوداع	نوفمبر ١٩٧٠
٢٠ ـ وفاة الرسول	ديسمبر ١٩٧٠

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه
٣٧ شارع كامل صدقى - الفجالة
ت ٩٠٥١٢٧ - ٩٠٧٥٩٤

رقم الايداع ٢٥٩٧
الترقيم الدولى ١ — ٣٥٧ — ٣١٦ — ٩٧٧

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

الثمن ٢٠٠ قرش